لا تفوتوا فرصة قراءة هذا الكتاب الرائع الذي يتناول الأئمة في جذوره الفرآنية

الشيخ عبد الله دشتي
الإمامية
في ظلدها الفرآئية

الشيخ عبدالله دشتي
الإهداء

إلى كل من يحمل قلبًا سليماً بين جنبيه ……
إلى كل من يريد الخروج من الظلامات إلى النور ……
إلى الباحثين عن الحقيقة ……
إلى محيي الحق ……

إلى (الخير يستمعون القول فيتبعون أحسنهم)

أهدي هذا الكتاب عسى أن يكون مصباحًا يهديه إلى مصابيح الدجى محمد وآله الطيبين الطاهرين.
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِمَانِ الرَّحِيمِ
مقدمة

بسم الله الحمد لله والصلاة على خير الخلق وآله الأظهار
قليلًا ما يجد المتابع جديدًا في أمر الإمامة، حيث تناول علماؤنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم أمر الإمامة بخان وتحيصًا، دفاعًا وهجومًا، حلا ونقضا وذلك في معرض تناولها كعقيدة أم في عقائد الشيعة الإمامية. ولكن في هذا الكتب أعدك أن تجد الجديد، فالكلام ليس في إثبات الإمامة فقط، بل درجة وضوحها أيضًا.

ودلك لا يكون الأسلوب مختلفًا، وقد لا تكون الفكرة بصورة العامة جديدة، ولكن الجديد هو أن المؤلف قد انتقل من المنطلق القرآني ليصل حدًا يعد معه مسألة الإمامة ظاهرة في القرآن، دون الحاجة للتوسع في إعمال الفكر في دهاليز العقل، ولا البحث في متناهات كتب الحديث وعلم الرجال لفك الغث منها عن السقيمين، كما تناوله العديد من الكتب.

وأظنه بأن هذه الطريقة قد أنتج ثمرة علمية تسد ما خاله البعض فرغًا، وتجيب على ما طرحه البعض تساؤلاً، وتحد حلقة ظنها البعض مفقودة.. ولعل قليلاً من الأبحاث يؤدي هذا المؤدي.
وأما موضوع الكلام فهو عرض مرتكرات الإمامة في القرآن، ولكي يعرف القارئ الكريم أهمية البحث، تبدأ بعرض التساؤل التالي:
ما هي حقيقة الضروريات في العقيدة؟
فهل إن حصر تلك الضروريات أمر ثابت لا يتغير؟ أم أن ذلك خاضع للظروف الزمنية والمكانية؟ فيكون أمر ما ضروريًا في زمن ما نتيجة ظروف قد تختلف في زمن آخر ومكان آخر لتؤثر عليه الضرورة؟
بشيء من التأمل يظهر جليا أن أهم تلك الضروريات هو الإيمان بالله تعالى، إذ ينبع من منبع فطري عقلي لا ينفك عن وجود الإنسان نفسه، وتعرف أن الإيمان به تعالى ضرورة لا تقبل الخلاف من قوله تعالى: "أفي الله شك فاطر السماوات والأرض"(1).
ويتبعه في ذلك أهم صفات الله عز وجل وهما العدل والحكمة التي تفرض وجود عالم مناحمية والجزاء، يقول تعالى: "فأحسبت أنما خلقناكم عبنا وأنتم إلينا لا ترجعون"(2).
ثم يأتي ترتيب الضرورات حسب قيمتها الجوهرية في الحياة، حيث يأتي دور الوسيط المادي الحكمة الذي يأخذ بيد الناس مبينا لهم سبيل النجاة، يقول تعالى: "وأما كنا معدئين حتى نبعث رسولا"(3).

---
(1) إبراهيم : 10
(2) المؤمنون : 115
(3) البقرة : 50
وأما الإمامة - وهي محور الحديث - فهي تبع من البحث عن الحجة بعد النبي الخاتم وهي نفس الضرورة التي تتحدث عنها في النبوة ولكن الحجة في النبوة تأسيسية وليس كذلك بعد النبي الخاتم ولكن لا شك بضرورةها، فما هي الصياغة القرآنية لها؟ ووجودها واضح في القرآن في كلمة أولى الأمر في قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (1)، وفي وجود حاملي الكتب بأباده النثبة (ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا) (2)، وفي الشهادة على الناس (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (3)، وبعبارة أشتر الباحث عن محل الرسالة - الذي لا بد أن يكون لها محل - بعد رسول الله (ص) فأنه جعلت وقد قال عز وجل (الله أعلم حيث يجعل سالته) (4)؟
لعن نستبق الأحداث، فالبحث في هذا الكتيب يدور حول هذا الموضوع.

المعد

(1) النساء: 59 (4) الأنعام: 124
(2) فاطر: 32
(3) البقرة: 134
إن الأهمية الكبيرة لبحث الإمامية في القرآن الكريم تنطلق من أمور عدّة:
أولاً: تعتبر الإمامة أصولاً من أصول العقيدة عند الشيعة الإمامية، فهل يعقل ألا يتعرض لها القرآن الكريم بشكل واضح؟ ولو بمقدار ما بالقياس إلى التوحيد والنبوة التي تناولهما القرآن بتوسع؟
ثانياً: روی عن الإمام الصادق ﷺ 'أنه قال: 'من لم يعرف أمراً من القرآن الكريم لم يتنكب الفتن' (1)، أي أن الموالي الذي لا يعرف إمامية أئمة من أهل البيت عليهم السلام من آيات القرآن الكريم لا يستطيع تجاوز الفتن.
وقد ورد عنه ﷺ 'أنه قال: 'لو تلي القرآن حتى تلاوته لوجدتمونا فيه مسمى' (2).
فلو تبع الإنسان آيات القرآن ودقق فيها لوجد أني ذكرت أئمة أهل البيت عليهم السلام واضحاً كما لو كانوا قد ذكروا بالاسم في الآيات

---
(1) مجار الأنوار - ج ١٩ ص ١١٥
(2) نفس المصدر السابق
الكربة، ومثل هذين النصين يفرضان على كل موال أن يدرس القرآن الكريم هذه اللحاظ، ويدل وسعه في هذا السبيل.

الثالث: تركز خصوم الشيعة على مساءلة عدم وضوح عقيدة الإمام في القرآن الكريم بحيث غدت من أهم الإشكالات التي تتكرر في كتبهم المتصدية لأصول مذهب أهل البيت عليهم السلام حتى قال بعضهم:

"وهل تجد لإمامة الثاني عشر ذكرا صريحا في كتاب الله كما ذكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع متفرقة من كتاب الله من غير ما حاجة لمعرفة أصلها إلى تأويل باطني أو روایات موضوعة، والإمامة عندهم أعظم أركان الإسلام، فكيف لا تذكر ولا يشار إليها، أليس هذا دليلا على أن مزاعم الإمامية في هذا الباب لا أصل لها؟ وحينئذ لا بد من رفض هذه المزاعم لتناقضها لكتاب الله.".

أخي العزيز تلك هي المنطلقات التي تبرز أهمية هذا البحث.

إن ما نقوم به في الصفحات التالية هو إبراز الجذور والأسس القرآنية لعقيدتنا في الإمامة، وسيتضح أنها عقيدة قرآنية لا لبس فيها.

وفي الختام أوجه جزيل شكري للأخيي حامد العلي وعمر ماجد آتش، فلولا لمساهمتي الأدبية والفنية لبقيت بعيدة عن النشر.

المؤلف
المقسم الأول

صفر الحجة

بعد الرسول (ص)

في القرآن
ماذا تقصد بالإمامة؟

في البدء لا بد من تحديد المقصود بالمفردات التي نتحدث عنها منعاً للخلط الذي قد يعتري بعض الأبحاث نتيجة عدم تحديد مفردات البحث فيها. فنقول بأن الإمامة التي نريد أن نبحث عنها هنا هي نوع وظيفة إلهية يتم اختيار الشخص الذي يوفق لها من قبل الله عز وجل فيكون حامل للرسالة التي أنزلت على النبي (ص) من بعده، عارفاً بكل أبعادها من دون أن يكون نبياً.

فالرسالة مجمعه عند شخص ما بصورة النامه بعد النبي (ص) كما هو ظاهر قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١)، ومن ثم يشكل هذا الإمامة استمرارا للحجة الإلهية على البشر له ما للنبي (ص) إلا أنه ليس بنبياً. فهو عالم بالشريعة بمقدار علم النبي بما والحجة على الناس كما هو الحال بالنسبة للنبي (ص) وأولى المؤمنين من أنفسهم كالنبي (ص) فلا يجوز لأحد التقدم عليه أو مخالفته.

وأما المخالف فلا يرى ثبوت مثل هذا المنصب بعد النبوة الخاتمة بأبعاد المذكورة آنفاً، بل كله ما يعتقد به هو وجود حاكم على المسلمين يعين من قبل الناس ويعزل من قبلهم ولا علاقة له بالشريعة بالأصل. نعم استناداً لجبل الأول من الحكام فأعطوا سمة شرعية مميزة باعتبار

(١) الأفعال :
أهمية البحث في هذا الأمر:
لا شك أن الإسلام هو دين الله تعالى الذي جاء لهدایة كافة البشر، لذا يجب على الإنسان أن يعرف أحكام الإسلام الصحيحة الموجودة في القرآن والسنة.

واختلاف السابقين منذ عهد الصحابة قد سبب اختلافاً شديداً في فهم القرآن، واختلافاً أشد في تحديد سنّة الرسول (ص) والمصادر التي يجب أن تؤخذ منها، فضلاً عن الخلاف في فهمها. لذا كان لدراسة هذا الاختلاف أثر مهم في فهم الإسلام الصحيح وتمييزه لا إفا مشكلة تاريخية انتهت بموت أطرافها.

إعادة صياغة نقطة الخلاف:
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله حجة على الناس ولم يكن مجرد حاكم، بل كان مبلغًا للشريعة من قبل الله، عالماً بما ومبادئ كتاب الله عز وجل، شاهداً على المسلمين، قائلاً سياسياً يجب أن يطاع على كل حال سواء كان خاتمًا ملاحقًا في غار ثور أو كان
رئيسا للدولة منتصرا على الأعداء فوجوب طاعته وكونه ولي أمر لم يكن بسبب حكمة للدولة بل هو حكم فرضه الله على المسلمين لأنه حجة الله عليهم، وقيادة الناس سياسيا كانت إحدى مهامه لا كلها. فإذا اقتضت الحجة رسولا تجعل تلك الصفات يكون أهلا لها. فما كان مصير الحجة بعده على أرض الواقع؟

منهج البحث عن الحقيقة:

تسلم المسلمون على استقاء معارفهم ومتبنياهم من ثلاثة مصادر في الشريعة:

الأول: العقل

الثاني: القرآن الكريم

الثالث: الحديث والسيرة

ونظرا إلى أن حجتنا معونين بعنوان الإمامة في القرآن الكريم فستركز على العرض القرآني للموضوع بنحو أساس مع ذكر النصوص المتفق عليها في توضيح بعض الآيات، ولكن لا بد أن ننطلق من خلال استعراض البحث العقلي لدوره في تحديد الموضوع.
حديث العقل عن الإمامة

لا بد في البدء أن نستعرض موقف العقل المتسائل عن قضية الإمامة.

فأين الحجة بعد رسول الله؟

فرسول الله (ص) وإن كانت حقيقتة المميزة له هي كونه نبياً بل خاتم الأنبياء، ولكن الحاصل الذي يعكس على الأمة كونه حجة بمعنى أن الشريعة كلها وجدت ببعثته (ص) فهو الخلق الذي جعلت فيه أولاً، وينقطع بذلك عذر أي من البشر بعدم المعرفة ثانياً، وثالثاً هو الحاكم الذي يحكم الأمور في المجتمع الإسلامي.

وبعبارة أخرى هو (ص) ذو أبعاد ثلاثة هي العلم والشهادة والحكم إضافة إلى خصوصيته (ص) كنبي مرسول، والأول واضح في قوله تعالى { هو الذي بعث في الأعيان رسولاً منهم يعلو عليهم ظلاله } ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين { } والثاني في قوله تعالى { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وميشراً ونبيراً } والثالث في قوله تعالى { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم }.

(1) الجمة: 2
(2) الأجراء: 45
(3) النساء: 65
كما أن العقل يرفض إهمال الشريعة الحاكمة لمصير تلك الجوانب وعدم
اتخاذ موقف تجاهها وذلك لسبيين مهمين:

الأول: أن المفروض هو استمرار وجود شريعة خاتم الأنباء بين البشر
إلى يوم القيامة، فوضع معالم وأسس حفظ هذه الشريعة الحاكمة أمر
ضروري لكل إنسان يريد أن يهتدي بدين الله بعد وفاة رسوله الحاكم،
والقرآن أساس تقصيل تلك الهدية واجتناب الضلال، قال تعالى:
(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (1).

وبذلك حفظ القرآن فقال تعالى: (إنا نحن ننزلنا الذكر وإننا له حافظون) (2).
ولكن مقداراً مهماً من أحكام الإسلام والبيان الصحيح للقرآن نفسه
محفوظ في سنة النبي الحاكم (ص)، ولا ريب بأن حفظ الإسلام
مرهون بحفظ السنة المباركة، وهذا الحفظ يحتاج إلى تعديل معالم
الجهة الحاكمة للشريعة حتى ينسن الرجوع لها، فأين هي الجهية
الحافظة؟

الثاني: هو تصريح القرآن بالوجود الفعلي لولي الأمر وحاكم المجتمع
الإسلامي بعد وفاة الرسول (ص)، حيث قال تعالى: (أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (3)، وحاشا الله تعالى أن

---
(1) البقرة: 2
(2) الحجر: 9
(3) النساء: 59
يكلف العباد بما لا يطيقون، فيكلفهم طاعة من لا يعرفون ولا يستطيعون معرفته. فلا بد من تحديد ولي للأمر أو بيان طريقة تحديدهم.
أما القائلون بأن رسول الله (ص) نص على علي عليه السلام؛ فنور أن الحافظ والشاهد وولي الأمر تحدد شخصه بهذا التعين. وآما المخالفون لهذا الرأي فنور أن الشريعة أهلت هذا الجانب ولم تتخذ موقفا منه، فيجوز عندهم أن يكون الأمر شورى بين أفراد الأمة، أو بين أهل الحل والعقد أو يعين من قبل الحاكم السابق، أو يجوز أن يعين بالقهر والغلبة.
و عند الاحتكام إلى القرآن سيتضح ويجلى اهتمام هذا الكتاب العزيز بشأن بيان الحجة والمنصب الإلهي وملحقه الذي جعله الله فيه بالمعنى الذي في قوله تعالى { إِنَّ اللَّهُ أَعِلَمُ مَا يَجْعَلُ رَسَالَتَهُ }(1) وبين ذلك كله باستعراض للخطوات العريضة لها، وأوكل التفاصيل وذكر الأسماء إلى السنة الشريفة، وهذا محور حديثنا التالي.

(1) الأفعال : ١٢٤
الحجة بأبعادها الثلاث

إن الكلام عن الحجة الإلهية يستلزم تناول أبعادها الثلاثة البارزة في القرآن، وهي: العلم والشهادة والحكم.

وما نسعى إليه هو بيان الآيات التي تتحدث عن هذه الجوانب للحجة بعد رحيل رسول الله (ص) مع التركيز على التصريح القرآني بضابطيتين لا تنفقان إلا مع عقيدة الشيعة الإمامية، وهما:

- أن الجهة التي حملت تلك الأبعاد تتعلق بها أصفاء إلهي.

- أن المصطفين من عترة خاتم الرسل صلى الله عليه وآله.

وستناول في البداية الأبعاد الثلاثة مثيرين إلى علاقتها بالضابطتين المذكورتين.
أولاً: العلماء بالكتاب بعد رسول الله (ص)

وهنا ينبغي التقدم بنقطتين:

الأولى: أن عبارة آتيناهم الكتاب في القرآن لا تتعلق دائماً باليهود والتشرقي.

إن من أهم المفردات التي يستخدمها القرآن حين الحديث عن علم الأنبهاء السابقين لفظين الكتاب والحكمة، كما في قوله {إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيكم من كتاب وحكمه }1.

والظاهرة أنه لا يقصد به خصوم العلم بالكتاب السماوي الذي يتولى النبي بدليل قوله تعالى عن عيسى بن مريم {إذ علمت الكتاب والحكمة والكتاب والإنجيل }2، حيث يفهم من الآية أن الكتاب غير التوراة والإنجيل.

وقد خوطل رسول الله (ص) بمثل هذا الخطاب كما في قوله تعالى { وإنزل عليك الكتاب والحكمة وعلماً لم تكن تعلم }3.

إذاً، فما يجده المؤمن القاريّ لكتاب الله أن هناك حديثاً قرآنياً عن أشخاص أوتوا علم الكتاب مع رسول الله (ص) ولا يمكن أن تعمل على أن المقصود هماليهود والتشرقي، فلاحظ قوله تعالى: { الذين

1) آل عمران: 81
2) المائدة: 110
3) المائدة: 110
آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به
فأولئك هم الخاسرون (1)
وكل ذلك قوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه إلا إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه ماب (2)﴾
وقوله تعالى: ﴿وأما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقين الذين أتتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أتتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا (3)﴾
فالا يمكن حمل عبارة "الذين أتتوا الكتاب" في هذه الآيات على اليهود والنصارى ليكون المقصود بالكتاب التوراة والإنجيل، فتأمل...
وسيتضح لك بأن هناك من أعطاه الله علم الكتاب من أمة النبي صلى الله عليه وآله.

(1) البقرة : 121
(2) الرعد : 32
(3)المذفر : 31
النقطة الثانية: إن إتيان الكتاب قد يكون للنبي كفرد، وقد يكون للعصبة الأسرية.

ويدل عليه قوله تعالى {إسماعيل واليسوع وبونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين} ومن أبائهم وذريائهم وإخواصهم واجتبناؤهم وهديناهم إلى سراط مستقيم {ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا خبيط عنهم ما كانوا يعملون} {了一个 الذين آتيناه الكتاب والحكم والبنتوء فإن يكفر بما هؤلاء فقد وكلنا بما قوما ليسوا بما كافرين} (1)، فلاحظ قوله {ومن آبائهم وذريائهم وإخواصهم}.

وأوضح من ذلك قوله تعالى {فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكا عظيما} (1)، حيث صرح بأن الإتيان لآل إبراهيم القديمة.

بل إن القرآن يصرح بأن الكتاب لم يؤمن لشخص الرسول فحسب بل لجميع عبر عنهم بأتم أوتوا الكتاب، قال تعالى: {وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالمذين آتيناه الكتاب يؤمنون به} ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجد بآياتنا إلا الكافرون {وما كنت

---

(1) الأثرام: 86-89

(2) النساء: 54
تندل من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنك إذاً لارتباط المبطلون بل
هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجد بآياتنا إلا
الظالمون\(^1\).

وقد قسمت الآية الناس إلى:
- (فألي الذين آتيناهم الكتاب) ومدحتهم وبينت بأن كلهم يؤمنون
بالكتاب.
- (ومن هؤلاء) أي الناس المعاصرين فبعضهم يؤمن لا كلههم.
- (الكافرون) وهم اليهود والنصارى من أهل الكتاب والمشاركين
الذين قالت عنهم بأهم يجدون ولا يؤمنون.

وأما إن اعتبرت الذين آتيناهم الكتاب هذا اليهود والنصارى فهذا غير
معقول، إذ يكون معناها حينئذ أن اليهود والنصارى كلهم يؤمنون بما
أنزل على رسول الله (ص)، فبطلانه واضح.

اذًا، فالقرآن يثبت أن الكتاب قد يوتاه النبي وحده، وقد يوتاه النبي
كقائد ورئيس لآله وقد يكونوا مثله أنيباء وقد لا يكونوا.

آيات أخرى تدل على المطلوب:

وفي آيات أخرى تجد أن القرآن الكريم يذكر العلماء بعبارة (أوتوا
العلم) كما في قوله: (وبرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك

\(^1\) العنكبوت: 47-49
من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد (1). ومثله قوله تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» (2)، والآية صريحة بأن القرآن واضح بيضٌ عندهم، لا في كتاب وقرطاس فحسب وإنما في الصدور.

وتارة تجدهم بعنوان (الراشخون في العلم)، حيث قال تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله وراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» (3).

خلاصة الكلام هنا أن:

- الكتاب ليس دائماً هو التوراة والإنجيل، بل هو أمر جميل آخر.
- أن الكتاب قد يؤتاه النبي، وقد يؤتاه النبي وآله.
- أن الكتاب قد آتاه الله لمجموع مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرثوه بعده.

الدليل على اعتراف مجموع مع رسول الله (ص)

وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقًا لما بين يديه إن الله بعباده خبير بصير» ثم.

(1) سبأ: 6
(2) ال coment: 49
(3) آل عمران: 7
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصدم ومنهم سابق بالخيرات إذا ذكر الله ذلك هو الفضل الكبير (1)
فمن هذه الآية المباركة يتضح بأن الإصطفاء الإلهي قد تتعلق بمجموع بعد رسول الله (ص) ولكن لا لنبوة بعده بдавاه بل حمل الكتاب - مهما كان معناه - بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.
فبلاجع أن الآية تتحدث عن الكتاب الذي أوحي إلى خاتم الأنبياء والرسول (ص) وأن هذا الكتاب ذاته قد أورثه الله عز وجل بعد رسوله إلى الذين اصطفاهم من عباده (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)، ودلالة كلمة الإصطفاء واضحة، إنه اختيار أشخاص معينين من مجموع عباد الله بالمعنى الذي تكرر في القرآن الكريم عند الحديث عن اصطفاء الرسل، والآية تقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:
- الظالم لنفسه
- المقتصدم
- السابق بالخيرات
واللائق بالإصطفاء الإلهي لوراثة الكتاب ليس إلا القسم الثالث من صنفتهم الآية أو السابقين بالخيرات، وهم يبينه للناس من بعد النبي (ص).

(1) فاطر : 32-31
فالمعنى الظاهر للآية لا يناسب إطلاقا إلا مع مذهب الشيعة، ولا يمكن لغير الشيعة أن يعطي تفسيرا ملائما مع ظاهر الآية. نعم قد يشكل البعض على ما أوردناه بأن الآية ظاهرة بأننا أورثنا الكتاب الذين اصطفينا وهم عبادنا وينقسمون إلى ثلاثة أقسام، ظالم لنفسه ومقتصد وسابق باليئات، وليس في هذا ما يتلاءم مع عقيدة الشيعة في عصفة الأئمة واصطفاؤهم؟

فقول:
إن ضمير " فمنهم " راجع إلى " عبادنا " الأقرب للضمير في الآية من الذين اصطفينا "، وبذلك ينتفي الإشكال من رأس، لأن بناء على ذلك تكون الأقسام الثلاثة من العباد لا المصطفين.

وقد يورد إشكال على اعتبار عبادنا مرجا للضمير بأن الظاهر من نسبة العباد إلى الله هو المدح لهم فلا يتلازم مع القول بأن منهم ظالم، وجوابه أنه هناك في القرآن مثل هذه النسبة لقوم ظالمين إلى الله كما هو الحال في قوله تعالى (إذا جاء وعد أولاً، لما بعثنا علىكم عبادا لنا أولي بأس شديد) (1)، إذ لم يكن المبعوثين في الآية أهل صلاح كما هو رأي جل المفسرين.

(1) الإسراء: 5
ثم إن الإشكال يرد حين على إرجاع الضمير إلى الذين اصطففنا إذ أفا صريحة في المدح، ولذا يصعب قبول إطلاق لفظ الظلم لنفسه على المصطفى خصوصا مع ملاحظة قوله تعالى (لا ينال عهدي الظلمين) (1)، مما يرجح إن مرفع الضمير هو " عبادنا "، عليه لم يتعلق الاصطفاء حقيقة إلا بالسابقين بالخبرات.

بل لو قال بأن الضمير يعود على " الذين اصطففنا "، فإن المتأمل يفزع بأن الجوز لهذا الإطلاق أي نسبة الاصطفاء إلى المجموع هو وجود من اصطفى حقيقة من بين ذلك المجموع.

ويتبين الأمر من خلال التأمل في قوله تعالى لبني إسرائيل: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأي فضلكم على العالمين) (2)، فليس المقصود كل بني إسرائيل بالضرورة، ففيهم من عبد العجل وآذى الأنيبياء حتى قال تعالى عنهم: (أفكلما جاءكم رسول بما لا قوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقلتون) (3). وهذا يبين أن صرف قوله تعالى " فضلكم على العالمين " إلى بني إسرائيل قاطبة خطاً، وإنما يتضح الأمر بالرجوع إلى قوله تعالى: (وإسحاق واليسوع ويوحن ولوطا وكلا فضلنا على...

---

(1) البقرة : 124
(2) البقرة : 46
(3) البقرة : 87
العالمين 
فهم المفضلون لا كل بني إسرائيل فردا فردا. والذى جوز
وصف المجموع بأن الله تعالى اصطفاهم إما هو وجود من اصطفاه الله
في هذه الأمة وإلا لما صح هذا الوصف، وبدلك على ما سبق قوله
تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جعل فيكم أنيبياء وجعلكم ملوكا وآتاكما ما لم يؤت أحدا من
العالمين﴾، فهناك ذكر إن نعمة الله تفضيل بني إسرائيل وهنا صرح
بأن نعمة الله جعل الأنبياء فيهم مما فيه بيان تفصيلي للفضل.
لذا، فإنك إن رأيت أن ﴿الذين اصطفينا﴾ في آية المتن تعود للأمة
كلها وقد ماظر فإنها تكون على نفس النموذج، بمعنى أنها أطلقت
على المجموع بلباحة من أنعم الله عليهم من أهل البيت عليهم
السلام، الذين كان فضل الله عليهم عظيمًا، وإطلاق العبارة على
الأمة بلملاحظة العصبة الخاصة فيها، كما عبر عن أمة بني إسرائيل
بأهم فضلوا على العالمين بملاحظة جعل الأنبياء منهم.
وتوجد مثل هذا في قوله تعالى: ﴿كتبتم خير أمة أخرجت للناس تأمورون
بالمعروف وتهون عن المنكر﴾ فلا شك أن المصعود بعض الأمة
لقوله تعالى: ﴿ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف
وابحون عن المنكر﴾ ولا شك إن منكم للتبعيض.
ثم إن قوله تعالى { أم يحسدون الناس على ما آتاهمن الله من فضله } فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهما ملكا عظيمًا (1)  
كالصريح في أن هذا المجموع هم من أهل بيت رسول الله (ص)  
فالآية تحدث عن مجموع عبر عنهم بالناس حسدوا بسبب ما آتاهم الله من فضله وهذا الفضل يشبه القرآن بالفضل الذي أوى آل إبراهيم عليهم السلام هو إتياهم الكتاب والحكمة والملك العظيم، 
أفلا تشكل الآية دليلا على إن آل رسول الله (ص) أعطوا كما أعطي آل إبراهيم عليهم السلام فحسدهم الناس  
أول العلماء بالكتاب بعد رسول الله (ص)  
صرح القرآن الكريم بأول الحاملين لعلم الكتاب في قوله تعالى { قل كفري بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب } (1) ، وقد حاولوا إخفاء الحقيقة ففسروا الآية بعد الله بن سلام، ولكن يأتي الله إلا أن يتم نوره حيث اصطدم تفسيرهم بمعارضتها لمسلمات التاريخ وأقوال العلماء في ذلك .  

(1) النساء : 54  
(2) الرعد : 43
فمثلاً روي الطبري في تفسيره أن سعيد بن جبير سئل عن الآية أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: كيف وهذه السورة مكية. وعن الشعبي قال: ما نزل في عبد الله بن سلام شيء من القرآن.(1)

وقال ابن كثير في تفسيره عند الحديث عن الآية: "وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنا أسلم في أول مقدم النبي المدينة".(2)

وأما الحقيقة فقد نقل جزءاً منها الطبري في تفسيره عن أبي صالح في قوله (3) ومن عنده علم الكتاب قال: رجل من الإنس ولم يسمه، وسمه ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) حينما قال إن في تفسير الآية عدة أقوال وذكر منها أن المقصود علي بن أبي طالب فالمجفرية، وكذلك نقل القرطبي في تفسيره "وقال عبد الله بن عطاء قلت: لأبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال: إنا ذلك علي بن أبي طالب(4) وكذلك قال محمد بن حنفية".(5)

---

(1) تفسير الطبري - ج 13 ص 232
(2) تفسير ابن كثير - ج 2 ص 540
(3) تفسير القرطبي - ج 9 ص 294
(4) زاد المسير - ابن الجوزية - ج 4 ص 261
(5) تفسير الفرقان - ج 13 ص 230
وهذا يعرف القارئ بأن الله تعالى قد اصطفى بعد رسول الله عصبة ورثهم علم الكتاب وهم السابقون بالخيرات وأولهم علي بن أبي طالب

روى الكليبي عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، قال: "إيانا عني وعلى أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (ص) (1).
ثانيا: الشهادة بالكتاب بعد رسول الله (ص)

الشهادة على الأمة أحد أهم أدوار الأنباء وهي أحد الأوصاف التي وصف بها القرآن الكريم خاتم الرسل، يا أيها النبي، إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذننا وسراجا منيرا (1).

وقد وضح القرآن الغاية من تلك الشهادة والتبشير والإنذار بقوله: لنأ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (2)، فيكون الرسول هو الحجة الشاهد.

ولكنك تجد في القرآن قوله تعالى و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (3)، فكما وصف رسول الله (ص) بالشاهد على الأمة نراه يذكر شهادة على الناس غير رسول الله. وشهدت الرسول مقدمة بذاهة فيتبع أن تكون شهادتهم بعده بل هي مستمدة من شهادة رسول الله (ص) عليهم. فالآية تبرز موضوع الحجة والشهادة بعد رحيل خاتم الرسل. وأهم آية تحدد معاييم الشهداء بعد الرسول هي قوله تعالى و جاهدوا في الله حتى جهادك هو اجتياكم وما جعل عليكم في الدين من حرج.

(1) الأحزاب: 46-50
(2) النساء: 125
(3) البقرة: 143
ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون النصر على الله وتعالى شهيدا علىكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واتبعوا ما نزلت إليكم من رسلنا نعم الله ونعم النصر. (1)

فالآية تتحدث عن الشهداء بعد الرسول وتصرح بوجود صفين لهم:

الاولى: "هو اجتتباكم"، وهي عبارة مرادفة للاصطفاء كما في قوله تعالى (ولكن الله يجبه من رسله من يشاء) (2)، فالأجتهما هنا معنى الاصطفاء.

الفئوية: أهم من ذرية إبراهيم (ملة أبيكم إبراهيم) (3)، وبدئذ يتشمح المقصودون بقوله تعالى (وكلذك جعلناكم أمة وسطا) فقد ورد في الكافي عن بريد العجل قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله تعالى: "وكلذك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس" فقال: "خن الأمة الوسطى، وخن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه" (4).

وكلذك هم المقصودون في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (5)، ولو لم يكن الأمر كذلك لما تم معنى الآية، إذ لو قصد
كما يحاول البعض أن يوهى الناس بأن الشهادة هي للأمة جمعاء،
لتضارب المعنى فيكون الناس شهداء على الناس، وهذا يخالف التقدم
المفروض في رتبة الشهداء كلهما مصطفى من قبل الله كأرسل
والأوصياء.
وأما الإدعاء بأن الجميع هم خير أمة فمخالف للوحدان وما نشاهده
بالعبان، وإن قيل بأنهم جزء من الأمة تعين المصطفين السابقين
بالخبرات الذين هم من آلل إبراهيم بصريح القرآن إذ لم يدعُ اصفاء
غيرهم من البشر كحجج بعده (ص).

أول الشهداء بالكتاب

وقدما بين القرآن أول العلماء بالكتاب بين كذلك أول الشهداء به
وهما واحد وهو علي بن أبي طالب (ت). وهذا صريح مدلول قوله
تعالي (أفمن كان على بينة من ربه ويلعوه شاهد منه ومن قبلك
كتاب موسى إماما ورحامه) (١). فمعنى قوله تعالى " منه " أنه من
أهل بيته، كما نقل البخاري في صحيحه كتاب الصلح، باب كيف
يكتب هذا ما صالح ... عن البراء أن رسول الله (ص) قال لعلي
العلي: "أنت مدني وأنا منك" (٢).

(١) هود : ١٧
(٢) صحيح البخاري - ج. ٣ ص. ٢٤٢.
فهو الشاهد الذي يبلغ رسول الله ﷺ، بل صريح الروايات الواردة في مصادر السنة أن المصوّد به علي ﭼ، قال السيوطي في (الدر المنثور) : "أخرج ابن أبي حاتم وابن مردوخ وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب ﭻ قال : ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن فقال له رجل : ما نزل فيه؟ قال : أما تقرأ سورة هود ﭺ أم كان على بنيate من ربه ويتلوه شاهد منه ﻳ ﭺ رسول الله ﷺ على بنيه من ربه وأنا شاهد منه "انتهى كلام السيوطي(1)، ورواية ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن عباد بن عبد الله ﭺ من علي ﭼ، و أما رواية الطبري في تفسيره فعن عبد الله بن يحيى عنه ﭼ(2).

ولا نجد تفسيرًا يتوافق مع ظاهر الآية غير هذا في مقابل تفاسير متكلفة لا تناسب مع مفرداًها، فانظر إلى الآراء الأخرى التي عدها ابن الجوزي في تفسيره (زادة المفسر) حيث قال:

"وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال:
أحدها : أنه جبريل، قاله ابن عباس وساءد بن جبير ومجاهد وعكرمة وإبراهيم في آخرين.

(1) الدر المنثور - للسيوطي - ج 4 ص 604.
(2) تفسير ابن أبي حاتم - ج 3 ص 2015.
(3) تفسير الطبري - ج 12 ص 421.
والثاني: أنه لسان رسول الله (ص) الذي كان يتلو القرآن قاله علي بن أبي طالب والحسن...

والثالث: أنه علي بن أبي طالب و (يتلوه) معين يتبعه رواة جماعة عن علي بن أبي طالب وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي.

والرابع: أنه رسول الله (ص) هو شاهد من الله تعالى قاله الحسين بن علي عليه السلام.

والخامس: أنه ملك يحفظه ويسده قائلة مjahad.

والسادس: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان قد أنزل قبله لأن النبي (ص) بشرت به النوراة.

والسابع: أنه القرآن ونظمه وإعجازه قاله الحسين بن الفضل.

والثامن: أنه صورة رسول الله (ص) ووجهه وखبايه لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله (ص) 

والحكم إليك أيها القارئ في تحديد التفسير المتوفيق مع ظاهر الآية؟ فما تريد الآية قوله أن علياً التميم شاهد من رسول الله (ص) ويتلوه أي يعقب ليقوم بدوره كهادي وحججة كما ورد عند الفريقين، واحرصي علم بأن الظروف السياسية والمذهبية لصرف روايات الشهادة عن علي كانت متائية لهم، ومع ذلك لم يتمكنوا من إخفاءها كلاهما رغم سلطتهم ونقضهما، ألا يمكن أن تفهم من ذلك كم كان الأمر جليا؟

(1) زاد المسير - لابن الجوزي - ج 4 ص 62
ثالثاً: الحكام بالكتاب بعد رسول الله (ص)

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرْبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُكْتَمِلَ عَلَيْهِمْ شَجَرَتَانِ﴾ (المائدة 58)، حيث تبين الآية إحدى وظائف الأنبياء وهي حكومتهم وإدارتهم جماعتهم.

فبالنسبة إلى حاميم الرسول (ص)، وردت آيات تتحدث عن هذه الوظيفة للرسول بلفظ الأولوية، قال تعالى ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأنفال 68)، ومعناه قوله تعالى ﴿وكما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (المائدة 58). ولفظ الولاية قال عز وجل ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾.

فمن الواضح أن هذه الوظيفة تثبت لنبي حتى من دون حصوله الفعلي على مقاليد الأمور والحكومة الواقعة، وإن كانت الحكومة أجمل مصادرها مع التمكين.

فرسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وإن كان مطارداً كما حدث في مكة قبل الهجرة، وأولى منهم وإن كان جيشه مهزوماً ورباعيته ترف.

(1) النساء : 65
(2) الأحزاب : 6
(3) الأحزاب : 36
(4) المائدة : 58
دماً، فكونه أولى من المؤمنين من جملة حقوقه، ومنها حق حكم المجتمع، لا أن ذلك الحق ثابت فقط عند نجاحه في السيطرة على السلطة السياسية.

ووظيفته كحاكم إذا هي وظيفة أساسية يحتاجها المجتمع الإسلامي أثناء حياة الرسول وبعد وفاته، بل إن الصحابة أفرطوا في حماسهم بعد رحيل الرسول (ص) إلى الدرجة التي تركوها معها جثمان الرسول وذهبوا إلى السفينة لبحث هذا الأمر، فكيف يقال أن رسول الله (ص) لم يتحدث عن هذا الأمر المهم؟

وأما مصير هذه الوظيفة بعد الرسول فقد صرح القرآن بوجود أشخاص آخرين لهم نفس هذا الحق الذي كان لرسول الله في قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (1) فالأياء قد قرنت طاعة أولي الأمر بطاعته (ص)، مما يشعر بشوقاً بنفس الكيفية الثابتة لرسول الله (ص).

إذا، فهناك عصبة من الشهداء والعلماء اصطفاهم الله تعالى، وقد ضم الله إلى ذلك كله فضيلة أخرى هي الحكم لنتم بها اكتمال أركان الحجة، فماذا كان موقف الناس من هذا الأمر بالطاعة؟

(1) النساء : 59
لقد صرح القرآن الكريم بأن الذين أوتوا الملك العظيم - وهي عبارة أخرى عن حق الحكم - هم من قبل آل إبراهيم في قوله تعالى: "أم يجسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتنا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتناهم ملكا عظيما" (1)، وزاد فيه بيان موقف الناس منهم.

فالآية تتحدث عن فضل قبول بالحسد، وعن جعل سماه هنا إبتداء، وعن شبهة للمتفضل عليهم هم آل إبراهيم .. إذا، فالآل هنا هم آل محمد صلى الله عليه وآله الذين حسبهم الناس. والله تعالى يسألهم: لماذا تحسدون أناسا آناهم الله علم الكتاب والحكمة وآناهم حق الحكم والملك، أفأبهم آل النبي (ص)؟ فلماذا وأنت تعرفون من صريح آيات القرآن الكريم أن هذا الأمر لم سابقة، إذ أتنا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، فلماذا الحسد لم يستحق ذلك؟

ولو فهمت أيضا القارئ الكريم هذه الآية على حقيقةها لأدرك علة المصائب التي مي وبيت النبي (ص)، فالحسد كان هو الأصل في هذا العناذ الذي مورس ضد أهل البيت عليهم السلام، حتى بلغ الأمر لقتلهم وسي نسائهم في جيل عاصره الصحابة بل شارك بعضهم بعض فصوله.

(1) النساء: 54
أول الحكام بالكتاب

بعد أن صرح القرآن الكريم أن هناك حكّاما ورثوا الكتاب، يتعين
بائحهم ليتسرّ للمسلمين العمل بأمر الله وطاعتهم. لذلك بين الله تعالى
أول الحكام بقوله: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (1). قال السيوطي
في (الدر المنثور): أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال:
تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال نبي (ص) للسائل من أعطاك
هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكي فأنزل الله ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُ اللّهِ﴾.

وأخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وأبو الشيخ وابن مردوخ عن ابن
عباس في قوله ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُ اللّهِ﴾... الآية نزلت في علي بن
أبي طالب (2)، قال ابن الجوزي في (زاد المперед): "وأذن بلال
بالصلاة، فخرج رسول الله (ص) فإذا مسكيين يسأل الناس، فقال:
رسول الله (ص): "هل أعطاك أحد شيئا؟" قال: نعم قال: "ماذا؟" قال:
حاتم فضة. قال: "من أعطاكه؟" قال: ذلك القائم، فإذا هو
علي بن أبي طالب، أعطانيه وهو راكع، فقرأ رسول الله (ص) هذه

(1) الدر المنثور - للسيوطي - ج3 ص401
(2) المائدة : 55
الآية، ورواه أبو صالح عن ابن عباس، وله قال مقاتل وقال مjahid نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع"(1).

وهنا نقول أيضا أن الأمر لا يحتاج إلى التحقيق في سند الروايات لأن هناك إشاع واضح في الآية أن الحديث عن شخص ما وعن واقعة هي من التصدق في حال الركوع، ولا يتوافق مع هذا الظاهرة إلا المعروف من أن الحديث عن تصدق علي الخاتم بالخاتم وهو راكع، فهو المقصود، وهو أول الحكام، ويتناوب مع كونه هو أول العلماء بالكتاب وأول الشهداء به كما تبين فيما سبق.

(1) زاد المسير - لاين الجزوية - ج 2 ص 227
القسم الثاني

اصطفاء البيوتات في القرآن الكريم
سنة القرآن في اصطفاء الآل

وتسأل: هل اصطفاء آل النبي أمر غريب أم الغرابة في خلافه؟

إذا حاولنا تتبع الأصول القرآنية لعقيدة الإمامة، فلا بد من تبع المنهج الإلهي لاختيار الأنبياء، وستجد أن هناك نقطتين مهمتين:

النقطة الأولى: تجد أن القرآن يحصر منطلقات الاصطفاء بشكل جلي وواضح بإذن الله تعالى، وحده قال تعالى: وربك خلق ما يشاء ما كان هم الخيرة (1)؛ إذ لا يجب أن يقرر الله تعالى تلك الاصطفاءات للبشر لا يسأل عما يفعل (2)؛ وهذا ما يشعر به أيضا قوله تعالى: لله أعلم حيث يجعل رسالته (3)، وقوله تعالى: ولقد اختواههم على علم على العالمين (4).

النقطة الثانية: أنه من الجلي والواضح أن الاختيارات الإلهية لا تتعلق دائما بشخص النبي بل يجد أن هناك اصطفاء لبعض بيوتات الأنبياء، وهذا ما صرح به في قوله تعالى: إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل (5).

(4) الدعاء: 32
(5) القصص: 68
(2) الأنبياء: 23
(3) الأعجم: 124
إبراهيم وآلى عمران على العالمين ﷺ ذريته بعضها من بعض واللَّهُ سميع عليم (١).

وقد نقل البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى (وذكر في الكتاب مريم) قول ابن عباس: "وآل عمران المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد" يقول إن أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهم المؤمنون (٢).

قال ابن حجر في (فتح الباري): "وصله ابن أبي حاتم من طريق علي أبي طالحة عنه وحاصله أن المراد بالاصطفاء بعض آل عمران وإن كان النفي عامة فالمراد به الخصوص (٣).

وقد رواه ابن أبي حاتم عند تفسير هذه الآية، قال: حدثنا أبي ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طالحة عن ابن عباس قوله: "هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

وبه يتضح بما لا يُحتمل التأويل أن تعلق الاختيار الإلهي قد يشمل أحيانا بعض بيوت الأنبياء، لا أشخاصهم المباركة فحسب.

(١) تفسير ابن أبي حاتم - ج ٢ ص ٥٣٥
(٢) صحيح البخاري - ج ٤ ص ١٩٩
(٣) فتح الباري - لابن حجر - ج ٦ ص ٤٦٩
وإذا قرأت قوله تعالى: "وَتَلَكَ حِجْنَتَا آتِينَا إِبْرَاهِيمَ عَلیٰ قُوْمِهِ نُرِفُّ ذَرْجَاتٍ مِن نَّشَاءٍ إِنَّ رَبِّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَهُنَا لِإِسْحَاقٍ وَيَعْقُوبَ كَلَا هَدِينَا وَنوُحَا هَدِينَا مِن قِبْلِ مَن ذِرِّيَّتهُ دَاوُدٌ وَسَلِيْمَانٌ وِيُوسُفُ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجَّيَ اَلَّذِيْنِ اَخْسَنِينَ وَزُكْرِيَا وَيَقُبْلٌ وِيْلِيَّةُ وَإِلِیَّاسُ كَلِّ مِن الصَّالِحِينَ إِسْمَاعِیْلٍ وَالْبِیْسَعُ وَبِنِیَ وَلُوطٌ وَكَلَا فَضَلْنَا عَلیٰ الْعَالَمِينَ وَمِن آبَانِهِمْ وَذِرِّیَّاتِمْ وَأَخُوَاهُمْ وَاجْتِیَابِهِمْ وَهَدِينَاهُمْ إِلَیٰ سَراَتِ مُسْتَقِیمَ(١)،

تَلَوْحَذَ الْآیَةِ صِرْحَةً فِی أَنَّ الْاِخْتِیَارَاتِ الْإِلَهِیَةِ هِیَ إِطَّارُ الْآبَاءِ والآبِنَاءِ وَالْإِخْوَانِ، وَقَالَهُ تَعَالَیّ ذِرِّیَّةٍ بَعْضَهَا مِن بَعْضٍ هِیَ إِشَارَةً إِلі إِلی الْحَقِیَّةِ.

الأَمِیَّةُ الْقَرَآَنِیَةُ لِاصْطِفَاءِ الْبِیوَاتِ:

أَوْلَا: آل إِبْرَاهِیمْ علیٰمَ السَّلَام

قَالَ تَعَالَیّ: إِنَّ اللَّهَ اِصْطَفَعَ آدَم وَنَوْحَا وَآل إِبْرَاهِیمْ وَآل عُمّارٰ یَلَی الْعَالَمِینَ(٢)، وَهُوَ صِرْحَةٌ فِی اِصْطِفَاءِ آل إِبْرَاهِیمْ علیٰمَ السَّلَامِ، وَكَذَلِكَ قَالَهُ تَعَالَیّ فِی سُوْرَةِ الْنَّسَاءِ: الْأَمْ یَسَدِدُ النَّاسِ
على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ।

ومن الآبات التي صرحت في اختيار الله الأنبياء من ذرية إبراهيم التالية:
قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:  ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وآتيناهما أجره في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين ।

ومثله قوله تعالى:  ولقد أرسلنا نوح وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكبر منهم فاسقون । والواضح أن الذين أوتوا الكتاب هم من الخمسين من ذريته.

وأما المنطلق الذي يذكره القرآن لانتقال تلك الإمامة إلى ذرية إبراهيم عليه السلام فتتضمن من قوله تعالى:  وإذ أتى إبراهيم ربه بكلمات فأمهن قال إن جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين  ؛ حيث دعا إبراهيم ربه لتكون الإمامة في عقبه وذريته، وقد قبل الله تعالى ذلك وبيسنت له اختصاصها بغير الظالمين منهم، وقد صرح القرآن بانقسام ذريته إلى محسن وظام في قوله تعالى:  وبشرنا بإسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه.

(1) النساء : 54 (4) القدر : 124
(2) العنكبوت : 27 (3) الحديد : 26
وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظام لنفسه مبينٍ (١)؛ بل إن الله تعالى قد صرح بأن الأمر باق في عقبه بقوله: { وجعلها كلمة باقية في عقبه } (٢).

وكم سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل ذريته أئمة للناس سائلاً أيضاً أن يوفق الناس للإفتداء بهم في قوله تعالى { رينا إني أسكان من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك الحرم رينا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس قوي إليهم وارزقهم من الشمرا لعلهم يشكرون } (٣).

وتكم الدلالة في لفظة { أفئدة من الناس } أي أن القلوب تودهم وهذا يتوفيق مع موقعها كأئمة هديان بين الناس، وإلا فما الداعي له، خصوصا وأن القرآن لا يجز مودة أهل المعاصي { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله } (٤)، ومنها يتضح بأن هوي الأفئدة يصل مداه في حال أئمة الهدي، بل يصل حد الوجوب.

وستبين في مخله من الكتب الذي بين يديك أن المقصود بالآخر في قوله تعالى { ورهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة } (٥).

(١) الصافات: ١١٢-١١٣
(٢) الزخرف: ٢٨
(٣) إبراهيم: ٣٧
والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (١)
هو استجابة دعائه في جعل الأئمة في ذريته، فبعد أن صرح يجعل
النبوة والكتاب في ذريته بين عز وجل إنه إن كان لأجر إبراهيم
الدنيا.
ثانيا: آل موسى وآل هارون عليهم السلام
وقد ورد ذكر آل موسى عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وقال لهم
نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما
ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن
كنتم مؤمنين﴾ (٢)، ولكن الأوصياء في بني إسرائيل كانوا من ذرية
هارون، والتعبير عنهم بآل موسى باعتبار الوحدة الموجودة بين
الأخوين فكان أبناء هارون هم أبناء موسى، فلا تحظ.
وقصة انتقال الأمر إلى هارون تبدأ بدعاء موسى كما في قوله تعالى
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة
من لسانى يفقهوا قولى وأجعل لي وزيرا من أهلي هارون
أخي اشد به أزري وأشربه في أمري كي نسبحك

(١) العنكبوت : ٢٧
(٢) البقرة : ٢٤٨
كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سلوك يا موسى (1).

وقد استجاب الله دعوته كما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ (2).

وقد بين القرآن الكريم الموقعية الخاصة هارون بالنسبة إلى موسى وكونه خليفة له في قوله تعالى: ﴿ووعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمهاا بعد عشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (3).

ومنه تستطيع أن تعرف حقيقة تركيز الرسول (ص) على أن موقعية علي الصحبة منه كموقعية هارون من موسى كما أجمعه عليه الصحابة كلها، فقد روى مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب قول رسول الله (ص) لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (4).

(1) صحيح مسلم - ج 4 ص 187
(2) طه: 20-36
(3) الأعراف: 142
(4) الفرقان: 35
ثالثا:آل يعقوب عليهم السلام
وهم وإن كانوا جزءا من آلل إبراهيم كمما هو واضح ولكن القرآن خصهم بالذكر عند الحديث عن يوسف بن يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجِبِّيَّكَ رَبِّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيَتَمْ نُعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آل يَعْقُوب كَمَا أَقَمَّهَا عَلَيْ أَبِيْكَ مِن قِيل إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِن رَبِّكُ عَلِيمُ حَكِيمٍ﴾، وكذلك عند الحديث عن زكريا عليه السلام حينما دعا الله عز وجل وطلب الذريّة الصالحة بقوله: ﴿فَهَلْ لَيْنَ لِدَنْكَ وَلِيَ يَرْثِي وَيُرثُهُ مِن آل يَعْقُوب وَاجْعَلْهُ رَبٌّ رَضِيَّا﴾، فاستجاب الله له ووهبه نبياً من الصالحين.

رابعا:آل داوود عليهم السلام
وأما آل داوود فقد ورد ذكرهم في قوله تعالى ﴿أَعْمَلَوا آل داوود شَكْرًا وَقَلِيلًا مِن عَبَادِي الْشَّكْرِ﴾، والمقصود بهم على الأقل نبي الله داوود وابنه سليمان عليه السلام، وقد بين القرآن الكريم أن سليمان ورث داوود في قوله تعالى ﴿وَرَثَ سَلِيمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا

---

(1) يوسف : 6
(2) مريم : 6
(3) سبأ : 13
أيها الناس علمنا منطق الطير) (1)، فلا مناص من الاعتراف بانتقال المراتب الإلهية في ذرية الأظهراء كما هو صريح هذه الآيات.

وقد صرح القرآن بقوله: {قل ما كنت بدعا من الرسل} (2) أن رسول الله (ص) هو كغيره من الرسل {ع}، فلماذا يورث غيره من الأنبياء الفضل لعترهم، ويقف فضله دون الانتقال لآله؟ هيهات هيهات، والقرآن خير شاهد على خلافه كما تقرأ وتلاحظ.

خامساً: آل عمران عليهم السلام

وقد مر ذكرهم في قوله تعالى {إن الله أصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين {ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم} (3). 

بل إن الآية مسوقة بقصد الحديث عن قصة آل عمران والمقصود بعمران والد مريم عليها السلام كما هو سياق القصة إذ قال تعالى بعدها: {إذ قالت امرأة عمران ربي إنني نذرت لك ما في بطني حمرا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم} (4)، وقد نقل في البحار رواية عن الباقر أنه سئل عن عمران أكان نبياً؟ فقال: "نعم كان نبياً مرسلاً إلى قومه" (5).

(1) النمل : 16
(2) الأحقاف : 9
(3) آل عمران : 33
(4) آل عمران : 35
(5) نخار الأنوار - ج15 ص 202
والخصيلة أن المقصود بالله عز وجل عمان أبو مريم ومريم وعيسى بن مريم عليهم وعلى نبيا وآله أفضل الصلاة والسلام.

سادساً: آل زكريا عليهم السلام

لم يرد في القرآن الكريم التعبير بنـ آل زكريا, إلا أن قصتهم لا تختلف عن آل داود وآل عمران, بل هم معاصرون لآل عمران, فعيسى ويبني بن زكريا عليهم السلام أبناء خالة.

بل إن دعاء زكريا الله وطلب الذرة قد تكرر بعد أن رأى فضل مريم ابنة عمران كما هو تسجيل أحداث القصة في القرآن فقبلها رعا بقبول حسن وأنيتها نباتا حسننا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا الخراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أي لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في الخراب أن الله يشرك يحيى مصدقًا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين. (1)

(1) آل عمران : 27-39
وقد كرر زكريا دعاءه بطلب الذرية الصالحة في قوله تعالى:
(1) وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذري فردا وأنت خير الوارثين.
وكذلك في قوله: كهبعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وحن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربك شقيا وإن خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهيب لي من لدنك وليا يرشني ويرث من آل يعقوب واجعله ربك وضعيا يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سيا، وهذه الآية إضافة لما سبق ذكره تنبيه بينان بأن أصطفاء البيتات وعصر الأنبياء وأىهم أمر معروف بالقرآن لا ينكره إلا غافل جاهل.
تنبيهان مهما
و هنا في ختام هذا الاستعراض للأيات التي تحدث عن أصطفاء البيتات ينبغي التنبيه على أمرين:
الأول: إن أي نبى قد ينسب تارة إلى أبيه فيقال أن يوسف عليه السلام هو من آل يعقوب وقد ينسب إلى جده فيقال هو من آل إبراهيم عليه السلام، و زكريا ينسب إلى جده تارة فيقال إنه من آل

(1) الأنبياء : 89
(2) مريم : 1-7
يعقوب وتارة أخرى إلى جده الأعلى فيقال هو من آل إبراهيم عليهم السلام.

لذا لا ينبغي الإشكال بعدم ذكر آل محمد (ص) في قوله تعالى: "إن الله أصفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين" لأنه كما أن محمدًا (ص) هو من آل إبراهيم عليهم السلام قال عز وجل: "واعث فيهم رسولًا منهم" (1) فهو داخل في آل إبراهيم، كذلك آل محمد هم من آل إبراهيم، وأما ذكر آل عمران فلا لأن الحديث عنهم في باقي الآيات.

الثاني: إن الاصطفاء الإلهي لا يتعلق بالأنياباء فقط، بل إن الله عز وجل يختار الأشخاص لمسؤوليات أخرى غير النبوة، ولنجد مثال ذلك في آتيين:

الآية الأولى: عند الحديث عن مريم ابنة عمران حينما يقول عنها: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العاملين" (2). والمشهور أن المرأة لا تكون نبية.

والآية الثانية: عند الحديث عن طالوت حيث يقول عز وجل: "وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أي يكون له الملك علينا فنحن أحق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال إن الله".

(1) البقرة: 129
(2) آل عمران: 42
اصطفاءه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم واللهم يؤيّ ملكه من يشأ والله واسع عليم (1). فاختيار الله تعالى لطالوت لم يكن للنبوة بل مجرد قيادة الجيش وإدارة أمورهم.

إذاً، فمحاولة تخصيص الاصطفاء الإلهي بالنبوات فقط أمر خاطئ ترسخ في ذهن البعض من خلال هيمنة الفكر السياسي، مما أتاح لهم عرض ما شاءوا من أفكار تصطدم بآيات صريحة من القرآن وتناقضها دون إمكانية تعديلها من قبل خصومهم.

إذاً، يتضح أنه لا تتلازم بين ختم النبوة وانتفاء الاصطفاءات الإلهية، فلا إشكال في ختم النبوة، ولا منع من استمرار الاصطفاءات لغير النبوة، وقد مرت الآيات التي صرح فيها القرآن الاصطفاء والاجتabee بعد رسول الله (ص).

آل محمد (ص)

أما آل محمد أشرف الأنباء (ص)، فإن كل ما سبق مما ذكرناه لم يكن إلا مقدمة لبيان موقعه آل خاتم الرسل، إذ أن من أهم الإشكالات التي تطرح على الشيعة هو أن عقيدتهم في إمامة أهل البيت عليهم السلام تقوم على أساس نظام الوراثة، فيرفضون ذلك مع أن العرض السابق لآيات القرآن تظهر أن انتقال المنصب الإلهي في

(1) البقرة : 247
ذرية الأنباء من سنن الله في السابقين، وليس الأمر وراثة لكنه
اصطفاءً لمجموعة من بيت واحد.
فقد تبين من خلاله أن اصطفاء آل الأنباء أمر واضح في القرآن الكريم
لا يُخفى على أحد، وإذا كان هناك إشكال في تقبل ذلك فهو إشكال
موجه للقرآن قبل أن يشكّل على عقيدة الشيعة التي تتبلاهم ووضوح
مع القرآن، بل هي مستقاة منه. فكل إجابة يبتها المسلم لتحرير
اصطفاء الله لبيوتات الأنباء تصلح أيضاً رداً للشيعة على المشكلين
عليهم. ولكن بشيء من التأمل يلاحظ المنتصب بأن المشكلة الحقيقية هو
في الحسد والهوى الذي يسيطر على بعض القلوب فتنكر الحق، وإن
كان هذا هو الدواء فلا دواء له عندما، قال تعالى (إني لا قدي من
أحبب ولكن الله يهدي من يشاء). (1)
ولكي نوضح للقارئ بأن القرآن فيه ذكر صريح لآل محمد (ص) و
معنى محدد لكلمة تستقرئ حديث القرآن عنهم في القسم الثالث
الآتي.
القسم الثالث

آل محمد (ص) في القرآن الكريم
كما قد بين سابقاً، إن القرآن قد تحدث عن دور الأنبياء كشهداء على الأمم، وكذلك عن كومهم العلماء بالكتاب والحكام به، فتتم بذلك الحجة الإلهية على البشر.

ثم بينا بأن الاصطفاءات الإلهية لا تقتصر على الأنبياء، وأن الله تعالى قد شمل باصفاءاته بيوت الأنبياء وذراريهم، وليس رسول الله بذع من الرسل، ولنستعرض هنا بعضًا من الآيات التي تثبت ذلك، وهي آيات صريحة، لا تفسير باطني يدعي خصوم الشيعة إن عقيدتهم قائمة عليها.

نعم، بعد ثبوت الإمامة لهم والعلم والشهادة، يثبت بأن تأويل القرآن في صورهم ويؤخذ منهم، فهم الراسخون في العلم العالمون بحقيقة متشابكات القرآن، فيعتمد عليهم في فهم تفاصيل الإمامة وخصوصها، وإليك أهم الآيات التي تناولت أهل بيت رسول الله (ص) بالخصوص:

أولاً: قوله تعالى: ًِْإِنَّمَا يَرَى الْلَّهُ لَيْذَهِبُ عَنْكُمِ الرِجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ًٍِْ(1) .

نزلت الآية في حق خمسة وهم أصحاب الكساء محمد (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسن عليهم السلام والآية تقصدهم دون غيرهم.

(1) الأحزاب : 33
وهي تساوي في المعنى ما نزل في حق مريم عليها السلام ﷺ يا مريم إن
الله اصطفاك وطورك واصطفاك على نساء العالمين (١) ، حيث تدل
على تعلق إرداد إلهية خاصة بطهارتهم.

وإرادة الطهارة هذه تختلف عن الإرادة العامة المتعلقة بكل الناس مثل
البيت في قوله تعالى ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴿ (٢) ، التي تتعلق بالوضوء ، فإرادة
الطهارة هنا تسمى بالإرادة التشريعية وهي عامة.

وأما إرادة الطهارة لمريم ومثلها إرادة الطهارة عليها السلام لأهل البيت
فهنا إرادة خاصتان بأشخاص معينين ، فهي إرادة لا يتفلخ عنها
مراد الله ﷺ عز وجل ، كما في قوله ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة
والكتب ﴿ (٣) ، وذلك عندما أراد جعل الإمامة في ذرية إبراهيم.

وأهم إشكال يرد على الآية جبيها في سياق الحديث عن نساء النبي
(ص) فآولها ﴿ وقرون في بيوتكم ﴿ كما أن بداية الآية التي بعدها
(واترك من متلى في بيوتكم ﴿ مما يعني اعتقاداً بأنها تتحدث عن
نساء النبي (ص).

(١) آل عمران : ٤٢
(٢) المائدة : ٦
(٣) الإبّانة : ٢٧
ولكن يتضح لكل باحث ب.BufferedReader في الكتب المتخصصة، أن ترتيب النزول غير ترتيب التلاوة في كثير من آيات القرآن الكريم، فقد نقل السيوطي قول البلغوي في (شرح السنة) :
"وكان رسول الله (ص) يلقن أصحابه وتعليمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوفيق جبريل إياه على ذلك وإعلانه عند نزوله كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ... وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة" (1).
بل إن هذا أمر مسلم عند أهل الاختصاص في بحث المكية والمدنى، لذا ذكر السيوطي فصلا بعنوان "في ذكر ما استثنى من المكية والمدنى، قال: وقال ابن حجر في شرح البخاري: "قد اعتنى بعض الأئمة بيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية" (2).
ويتضح الأمر أكثر في بحثهم حول آخر ما نزل من القرآن الكريم فقد نقل السيوطي عن ابن عباس أن آخر ما نزل من القرآن "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ... " (3)، ومع ذلك هي موضوعة بين آبيت الربا والدين في سورة البقرة، وإن كان ذو عصرة فنظرة إلى ميزة

(1) الإثنا عشر - للسيوطي - ج 1 ص 215
(2) نفس المصدر - ج 1 ص 56
(3) نفس المصدر - ج 1 ص 102
وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ...

(1)

والروايات الواردة في بيان سبب نزول الآية كلها تجمع على عدم وجود أي ارتباط بين سبب النزول ونساء النبي كما سيأتي بيانها، نعم قبل أن ترتيب القرآن وإن كان مثالا لترتيب النزول يجب أن يكون له وجه مناسبة.

فنقول في ذلك: قد يكون تغيير الترتيب لحفظ الآية من تناول يد المخرفين إذ القرآن كما يحفظ بالمعجز، يمكن أن يحفظ بطرق طبيعية، فضلا عن أن المناسبة غير مفقودة هنا وهو تذكير نساء النبي عند الحديث معهم بخصوصية البيت المنسوبين لها نسبة ما فلا يتصرفن كغيرهن من النساء.

فالآيات جاءت في صدد نصح زوجات النبي (ص) منبجة في الوسط على عظمة البيت الذي نسب إليه من خلال العلاقة الزوجية بقوله تعالى (إينما يريد الله ليذهب ... )، كما يعد الخادم الذي يعمل في البيت منسوب إليه نسبة ما يجب أن يراعي معها الشرف الخاص
لأهل البيت فلا يصدر منه ما يتناقق مع الموقعية الخاصة لأهل البيت الذي يعمل لديه.

ومهما يكن، فإنه لستطيع أحد أن يغض الطرف عن الغرابة في الانتقال من ضمير المؤنث إلى ضمير المذكر في الآية، حيث يجب أن يبررها حق من يدعي أنه تقصد نساء النبي، باختصاصها هن أو باشتراكهن مع الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام.

وإذا أدعى أحد بأن الضمير لدخول الرسول (ص) وعلى ذلك مثلا وهو المسؤو للانتقال إلى ضمير المذكر فإن ذلك يبطل السياق الذي يدعون. فلماذا انتقلت الآية للحديث عن النساء إلى الحديث عن رسول الله (ص) والخمسة أصحاب الكساء - بضميمة النساء أو بدونها - مع أن الكلام السابق عن خصوص نساء النبي (ص)

وكذلك اللاحق. فما العلة في تلك النقلة؟

فإذا قال الحصم أن الانتقال لكي يبرز فضل رسول الله (ص) والخمسة أصحاب الكساء بالإضافة إلى الزوجات، فإنقول إذن لا مانع أن يكون الانتقال لبيان فضل الخمسة دون النساء، فمن لا يرى مانا من الأول ينبغي ألا يرى مانا من الثاني ومن يستسيغ الأول يستسيغ الثاني.
مع ذلك كله، فإنه لم يقل أحد من علماء السنة ممن يعتد بقوله بأن الآية خاصة بالنساء إلا ما روي عن الخارجي عكرمة، لذا بروا تغير الضمير إلى المذكر بدخول الرجال معهم، وعلماء السنة - ممن يحترم علمه - قد ترددوا بين رأيين:

أحدهما: أنَّها تشمل نساء النبي لسياق ترتيب القرآن والخمسة أصحاب الكساء وهو رأي مثل ابن كثير في تفسيره عند تفسيره للآية.

والثاني: هو اختصاص المراد بالآية بالخمسة أصحاب الكساء وقد تبين هذا الرأي الطحاوي بقوة فقد ذكر بعض الأحاديث الواردة في الباب.

قال:

"عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (ص) عليه وسلم. وحسنا وحسينا عليهم السلام وقال: "الهؤلاء أهل بيتي"، وخلق الطحاوي بقوله: "فكان في هذا الحديث أن المراد هم رسول الله (ص) وعلي وفاطمة وحسن وحسين"(2)."

(1) تفسير ابن كثير - ج 3 ص 491
(2) مشكل الآثار - الطحاوي - ج 1 ص 227
إلى أن يقول:
"وحديث سعد وما ذكرناه معه من الأحاديث في أول الباب معقول بما من أهل الآية المتلواح فيها لنا قد أحثنا علما أن رسول الله (ص) لما دعا من أهله عند نزوله لم ييق من أهلها المرادين فيها أحد سواهم، وإذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أريد به سواهم، وفيما ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا.
فإن قال قائل فإن كتاب الله تعالى بدل على أن أزواج النبي (ص) هم المقصودون بتلك الآية لأنه قال قبلها في السورة التي هي فيها (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنت تردن الحياة الدنيا) إلى قوله (الجاهلية الأولى) فكان ذلك كله يؤذن به لأنه على خطاب النساء لا على خطاب الرجال ثم قال (إذا يريد الله ليذهب عنكم الرجل). فكان جوابنا له: أن الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله (إذا يريد الله) هو خطاب لأزواجه ثم أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالى (إذا يريد الله)، فجاء به على خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالننون وكذلك خطاب النساء "(1). انتهى كلام الطحاوي.

---

(1) مشكل الأنوار - للطحاوي - ج 1 ص 220
وكذلك صرح بذلك الآجري (ت 360) قال: "باب ذكر قول الله عز وجل (إِنَّمَا يَرِيد اللّهُ لِيَذِهَبَ عِنْكُمِ الرِّجَالُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا) ، قال محمد بن الحسين رحمه الله - أي الآجري - هم الأربعة الذين حووا جميع الشرف ، وهم علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم" (1).

وبذلك صرح أبو المحاسن الحنفي: "في أهل البيت ، روي أن رسول الله (ص) قال لما نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يَرِيد اللّهُ لِيَذِهَبَ عِنْكُمِ الرِّجَالُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا) دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي ، وروي أنه جمع فاطمة والحسن والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله فقال رب هؤلاء أهلي قالت أم سلمة: يا رسول الله فدخليني معهم قال: أنت من أهلي ، يعني من أزواجه كما في حديث الإنك من يعذري من رجل بلغني أذاه في أهلي لا أنا أهل الآية المثلوة في هذا الباب يعده ما روي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بني ... وما روي عن وائلة ... ، ووائلة أبعد من أم سلمة لأنه ليس من قريش وأم سلمة موضعها من قريش فكان قوله (ص) لوائلة أنت من أهلي لاتباعك إياي وإيمانك بي وأهل الأنباء متبعوه يؤيده قوله تعالى لنوح (فإن ها ليس من أهلك

(1) الشريعة - للأجري - ج 5 ص 220
إنه عمل غير صالح (هود 46) … والكلام خطاب أزواج النبي (ص) ثم عند قوله (وأقسم الصلاة وآتين الزكاة) وقوله تعالى "إذا يريد الله ليذهب عنكم الرجال أهل البيت) استناد تشريفاً لأهل البيت وترفعاً لمقدارهم ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر فقال عنكم ولم يقل عنكن، فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية يدل عليه ما روي أن رسول الله (ص) كان إذا أصح أتي باب فاطمة فقال: السلام عليكم أهل البيت (إذا يريد الله ليذهب عنكم الرجال أهل البيت ويظهركم تطهيراً) "(1).

وأما القول بأن الآية تشمل النساء ورسول الله (ص) فقط دون علي وفاطمة والحسنين فهو رأي لم يقله إلا بعض أتباع ابن تيمية في زمننا المعاصر ممن لم يقرأ أقوال علمائهم ولم يعلم بالروايات الواردة في الباب.

ويمكننا رداً على ذلك إبراد مسلم للرواية في صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل أهل البيت النبي (ص) عن عائشة قالت: "خرج النبي (ص) غداة وعليه مرحل من شهر أسود فجاء الحسن بن علي فدخله ثم جاء الحسن فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء...

(1) مختصر المحاسن الحنفي - أبو المحاسن الحنفي - ج2 ص 266
عَلَى فَادِخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذِهَّبَ عِنْكُمْ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِرُوا" (1).

وَلَقد وَرَدَتْ عَدَدٌ مِّن رَوَايَاتِ عَنِ أمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّ سَلْمَةٍ تَصَرَّحَ فِي هَذَا بِقُوَّتِهِ:

"فِي بُيُوتِنزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ؟ ثُمَّ تَراَهَا تَفَصلَ فِي شَأْنِ النُّزُولِ كَمَا يَنْقُلُ الْخَاَكِمُ الْنِّيْسَابُرِيُّ (المَسْتَدْرَكُ عَلَى الْصَّحِيحِينَ)

عَن عَطَا بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَمَّ سَلْمَةٍ قَالَتْ فِي بُيُوتِ نَزَلَتُ "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذِهَّبَ عِنْكُمْ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ"، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ رُسُولُ اللَّهِ (صَ) إِلَى عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْخَيْبَاتِ فَقَالُوا: أَهْلُ بُيُوتِي: قَالَ الْخَاَكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبَحْرَاءِيِّ وَلَا يَجْرَاهُ، وقال الذهبي: على شرط البخاري(2).

وَأَخْرَجَ الْخَاَكِمُ أَيْضًا بِإِسْمَّانَدٍ آخَرَ:

عَن عَطَا بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَمَّ سَلْمَةٍ (رض) أَنَّهَا قَالَتْ فِي بُيُوتِ نَزَلَتُ هَذِهِ الْآيَةُ "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذِهَّبَ عِنْكُمْ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ"، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ رُسُولُ اللَّهِ (صَ) إِلَى عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْخَيْبَاتِ رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَقَالُوا: "اللَّهُمَّ هُؤُلاءُ أَهْلُ بُيُوتِي"، قَالَتْ أَمَّ سَلْمَةُ: "يَا رُسُولُ اللَّهِ مَا أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ"، قَالَ: "إِنِّي أَهْلُ خِيرٍ وَهُؤُلاءُ أَهْلُ بُيُوتِي اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحْقَقِ".

(1) صحيح مسلم - ج 4 ص 1883
(2) المستدرك على الصحيحين - ج 3 ص 158
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وقال الذهبي على شرط مسلم، سمعه الوليد بن مزيد من الأوزاعي.

ورواه الترمذي بسنده آخر عن أم سلمة وفيه، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله! قال إنك إلى خير. ثم أتبعه بقوله: "هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روى في هذا الباب".

وعبارة "إنك أهل خير" المذكورة في (المستدرك) نقلناها كما في الطبعة ولكن من الواضح وجود تحريف إذ السياق يقتضي أن تكون "إنك على خير" ولا تستطيع الجرم بأنه متعمد ولكن الواضح إنه خلاف مزاج الكثيرين.

ويظهر من ابن كثير اعتماده على هذه الروايات لقوله تعليقاً على رأي عكمة في أن الآية خاتمة بأزواج النبي: "إن أريد - من قول عكمة - أن المراد فقط دون غيره ففي هذا نظر فإنه وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك"، ومع كثرة ما أورد من الأحاديث التي تدل على نزول الآية في الحسنة أصحاب الكساء لم يورد رواية واحدة تدل على أنها نزلت في "الأعم" من ذلك.

---

(1) نفس المصدر - ج 2 ص 451
(2) سنن الترمذي - ج 5 ص 299 ٦٥ ... ويظهر من كتاب الحاشية على (المعجم الكبير) - ج 2 ص 533 بأن الترمذي قال: حسن صحيح، ثم علق بقوله: وهو حديث صحيح بطرقة شواهده.
(3) تفسير ابن كثير - ج 3 ص 491
ويذكر ابن تيمية تلك الروايات الواردة عن أم سلمة، بعد ذكر رواية عائشة الواردة في صحيح مسلم بقوله: "وهو مشهور من رواية أم سلمة من رواية أحمد والترمذي" (1).
بل الأعجب من ذلك أن مسلم في صحيحه يورد ما يدل على عدم كون الزوجة من أهل البيت ففي كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب ينقل الرواية عن زيد بن أرقم ثم يقول: فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: "لا ولن الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها" (2).

(1) صحيح مسلم - ج 4 ص 1874
(2) منهج السنة - ج 4 ص 20
ثانياً: قوله تعالى "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القري".
ومن يقترف حسنة نذر له فيها حسبا إن الله غفور شكور (1).
ودلالة الآية تنطق من أن الرسول لا يسألون الناس أجرا دنيوياً على عملهم. وقد ذكر القرآن الكريم تصريح الأنبياء بذلك في عدة مواقع. (2) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.
نعم هناك أمور يطلبها النبي (ص) من قومه قد يتوجه إما من قبل طلب أجر، ولكن القرآن ينهه رسوله (ص) ليبين لهم "قل ما سألتمن أجرا فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد". (3).
ويبين القرآن الكريم أيضاً أن كل ما يطلبه الرسول (ص) هو من قبل الذكر الذي يوصلهم إلى الله عز وجل وهذا معنى قوله تعالى "قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيل" (4).
وسواء كان الاستثناء متصلاً معين أن الرسول (ص) يطلب ما ظاهره أجر، أو أن الاستثناء منقطع معين أنه لم يطلب أجراً بل يطلب أموراً أخرى تصب في صالح الناس.

(1) الفرقان: 57
(2) الشعراء: 109
(3) سبأ: 47
فقهه تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراء إلا الموذة في القرن"، في سياق استثناء يشبه الاستثناء الموجود في قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراء إن هو إلا ذكرى للعالمين". وهو من قبل اتخاذ السبيل إلى الله كما قال عز وجل: "قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا". حيث أن مودة أهل البيت النابتة من موقعهم كأيهم هداية هو من قبيل الأمور التي يعود نفعها للناس وهو ذكر للعالمين، وهي حتما من منطلق اتخاذ السبيل إلى الله. ولما كانت دلالة الآية الكريمه واضحة، فقد حاول البعض - كالعادة - التشكيل في أن المقصود في الآية هم أهل بيته الحمصة، فنقول: قد ذكر ابن كثير في تفسيره أن كبار التابعين كالأئمة علي بن الحسين عليه السلام وسعيد بن حبيب وعمرو بن شعيب ذكروا نرولاً في أهل البيت كما نقل عنهم ذلك ابن كثير بقوله: "وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن حبيب ما عناه أنه قال معنى ذلك أن تودوني في قرابتي أي تحسنا إليهم وتيروهم".
ففضل عن أن الحاكم في (المستدرك) نقل عن الإمام الحسن العسكري قوله: "وإذا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم

(1) الأئمة: 90
(2) الفرقان: 57
(3) نفس. ابن كثير - ج4 ص 121
قال تبارك وتعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نعز له فيها حسنًا" فافتقراف الحسنة مودتنا أهل البيت. (1)


وقال أبو إسحاق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" فقال قربى النبي رواه ابن جرير الطبري. (2)

وقد ذهب بعض العامة إلى أن الآية تقصد: إلا أن تودوني لقرباني منكم، واستندوا في ذلك إلى رواية رواها البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة الشورى عن ابن عباس (رض) أنه سئل عن قوله: "إلا المودة في القربى" فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد.

(1) المستدرك على الصحيحين - ج 3 ص 172
(2) تفسير ابن كثير - ج 6 ص 162
(ص) فقال ابن عباس عجلت إن النبي (ص) لم يكن بطن من قريش إلا كان له في قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بني وبينكم من القرابة١.

وأما يبطل هذا القول أن الاستدلال المذكور ليس برواية عن رسول الله (ص) بل هو قول صحابي إن صحبت نسبته له، على أننا نجد في المقابل قول الحسن بن عجلة وهو صحابي ويدعمه ثلاثة من التابعين، لذلك فهو مقدم على ما روي عن ابن عباس لو فرض صدوره منه.

والذي يشكك أكثر بصدر ذلك الكلام عن ابن عباس ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القري" قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودهم؟ قال: "فاطمة وولدها عليهم السلام"٢.

فالأمر يعود إلى القارئ لكي يختار، أيرجح قول صحابي تعارض النقل عنه، أو قول صحابي آخر وثلاثة من التابعين الكبار؟ والعجب أن مصادر العامة التي تنقل تلك الرواية عن ابن عباس وتعدها في الصحاح حينما تأتي إلى تفسير قوله تعالى:  وأعلموا أنما غنتمهم (٢)

(١) صحيح البخاري - ج ٢ ص ٢٠٤
(٢) تفسير ابن أبي حاتم - ج ١٠ ص ٣٢٧
من شيء فإن لله خمسه والرسول ولي القرى (1)، وتحديد المقصود بذي القرى بجدهم ينقلون عن ابن عباس ما يضاف الكلام السابق في آية المودة.

حيث يروي مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب النساء الغازيات عن يزيد بن هرمز قال: كتب جده بن عامر الحروري إلى ابن عباس يسأله عن ... وعن ذوي القرى من هم؟ فقال لزيدي: أكتب إليه فلولا أن يقع في أحمق اقتنع ما كتب إليه، أكتب ... وكتب تساؤل عن ذوي القرى من هم؟ وإنما زعمنا أنا هم فأبي عليبا قومنا (2).

فهذا الذي ينكر على قومه أن يكونوا مصاديق لذوي القرى كيف يقول في تلك الرواية أن كل قريش هي قرابة رسول الله (ص) في قوله تعالى: "قل لا أسألكم أجرا ..."؟

بل نقل ابن كثير في تفسيره الرواية بزيادة " وقالوا قريش كلها ذوو القرى "(3) وهي تبين علة إباء قريش عن إعطاء بن هاشم حقهم. وقد شكك البعض بالدلالة من حيث أن من عادة القرآن أن يعد بذي القرى فأي وجه لأن يقول في القرى. وقد رد ذلك الزمخشري في تفسيري بقوله:

(1) الألقاح: 41
(2) صحيح مسلم - ج 3 ص 1445
(3) تفسير ابن كثير - ج 2 ص 325
"فإن قلت: هلًا قبل إلا مودة القريب أو المودة للقريب وما معنى قوله إلا المودة في القرب؟ (قلت:) جعلوا مكانًا للمودة ومقراً لها كقولك: لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحدهم وهم مكان حبي وفعله، وليست "في" بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقريب فإنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الطرف به في قولك المال في الكيس، وتقديره إلا المودة ثابتة في القريب ومتمكنة فيها والمراد في أهل القرب (1).

وأما ما يذكر من أن الأنبياء لا يسألون أجراً على تلبية الرسالة الإلهية بل أجرهم على الله، فهذا وإن كان مرجحاً لانقطاع الاستثناء في الآية، ليصبح المعنى لا أسألكم أجرا أبداً فالنبي لا يطلب أجراً مادياً وإنما يطلب أن تتخذوا السبيل إلى الله مع القريب المذكورين، وهذا طلب يعود نفعه لكم وصار في صالحكم قل ما سألتمكم من أجر فهو لكم (1).

ولكن مع ذلك فإن احتمال كون الاستثناء متصلاً قويً، وأنه (ص) سألهم أجراً تجوز في الكلام لا أنه أجراً حقيقية لاحظ ما ذكره الزمخشري في تفسيره: "يجوز أن يكون استثناء متصلاً أي لا أسألكم (1) الكشاف - للزمخشري - ج 3 ص 420، (2) سأ: 47
الأجر إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابي ولم يكن هذا أجرًا في الحقيقة"(1).
نعم الأجر إن كان من الله قد يكون أخوريا وقد يكون دنيويا فقد أعطي إبراهيم أجره في الدنيا فقال عز وجل "وأتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين"(2)، فالفعل قد أعطاه أجرًا في الدنيا وهذا الأجر لابد كان في جعله إماما للناس، ولهذا ذريته أئمة للناس كما طلب ذلك بنفسه فقال في قوله تعالى: "وإذ اتبلى إبراهيم ربه بكلمات فأقمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"(3).
فإن كان القرآن يذكر أجرًا لإبراهيم(ع) فإنه من الراجح إذا أن مثل هذا الأجر يعطي لأفضل الأنبياء وحاقهم، فإن صريح القرآن أن أجره (ص) هو أعظم الأجر كما في قوله تعالى: "وإن لك لأجرا غير ممنون"(4).
إذا، فالاستدلال بالآية لا يقتصر على ثبوت اتصال الاستثناء، بل حتى مع الانقطاع والاستدلال تام.

---
(1) الكشف - للرششي - ج3 ص402
(2) النحو: 27
(3) البقرة: 124
(4) الفلم: 3
ثم أن رسول الله (ص) لا يمكن أن يعتبر مودة قرابته مجرد تعاطف نفسي معهم، بل من المستبعد أن يتكلم القرآن الذي هو دستور حياة المؤمن بعبارة ذات طلب من الناس، بينما القصد هو مجرد عواطف ومشاعر لا تؤثر في روح الإنسان ومسيرته نحو ربه، فهل يمكن أن نعتبر المودة في القرى مجرد تعاطف أم هي أمر دخيل في صميم الهدية؟

ثالثاً: قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لغة الله على الكاذبين.)

جاء في صحيح مسلم باب فضائل عليمة عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً فاهن له رسول الله (ص) فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمص النعم... فقد عدد الأولى والثانية وعن الثالثة قال: لما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسنين فقال: "اللههم هؤلاء أهلي".

(1) آل عمران: 21
(2) صحيح مسلم - ج4 ص 1871
وما ينصل ببختنا من هذه الآية المباركة أن علياً الآية قد عُرِفَ هنا بأنه نفس رسول الله (ص) ، وهذا واضح بعد العلم بأن الآية نزلت في الخمسة أصحاب الكساء كما هو صريح رواية مسلم السابقة وأبناءها في الآية تنطبق على الحسنين عليهم السلام ونساءنا على الزهراء عليها السلام ولا مناص من القول بأن علياً الآية ذكر بللفظ وأنفسنا.

وقد صرح ابن كثير - على تعصبه - بذلك في تفسيره ، بعد ذكره لقصة المباهلة نقلاً عن ابن مردوءه عن جابر وفي آخرها قال جابر : وفيهم نزلت ﴿ تدع أبناءكم وأناسكم ونساءكم وأنفسكم ﴾ قال جابر ﴿ أараметنا وأنفسكم ﴾ رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب ﴿ وأبناءنا ﴾ الحسن والحسين ﴿ ونساءنا ﴿ فاطمة ﴾.

والنقطة المهمة الأخرى أن الآية قد وردت بعد قوله تعالى ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾ ، ثم ذكرت بعدها قصة آل عمران مفصلة بدأ بقوله تعالى ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴿ ثم يعطف بعد ذلك على قصة زكرى وطلبه للذرية التي ترث آل يعقوب.

(1) تفسير ابن كثير - ج 1 ص 379
(2) آل عمران : 32-45
إجابة الله لدعوته، ومن ثم تعود الآية إلى قصة مريم واصطفاها، ثم قصة المسيح عيسى بن مريم إلى الآية 60 من السورة، ثم يأتي قوله تعالى: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقبل تعالوا ندعو أبناءنا...}.

فمن الواضح من سياق الآية - أن الحديث عن أهل بيت الرسول (ص)، كوجود يماثل آل عمران التي ذكرت قضيتم مفصلة، والأعجب أن الآيات التي بعدها ترجع وتكتمل الحديث عن المسيح {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء...} الآية 64، ثم يقول تعالى: {ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحبون...} الآية 66، ثم يذكر قوله تعالى {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس إبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} (1)، وليس الذين آمنوا هنا إلا من على عبده بذلك في آية الولاية كما سنبين أكثر، فدلالة الآية واضحة على المعنى العام، ثم المعنى الجزئي الذي يرتبط بآية المبايعة، وهي دلالات عامة وخاصة تدل على فضل خاص لأهل البيت بما لا يرقى إليه أحد غيرهم عليهم السلام.

(1) آل عمران : 68-67
رابعاً: قوله تعالى (سلام على آل ياسين) (1)

تحدثت الآيات التي تسبق هذه الآية عن إلياس عليه الصلاة والسلام، إذ قال تعالى: (إن إلياس من المرسلين)، لذا حاول مفسرو العامة بذل جهدهم لتفسير آل ياسين بـ " إلياس ", بادعاء أن من عادة العرب تغيير بعض الألفاظ إلى ما يقارنها في النطق كما في سيناء وسينين.

ولكنهم هنا يصطدمون بنقطة أساسية لم يستطيعوا تبريرها، وهي فصل كلمة " آل " عن " ياسين "، حيث وجدت في المصادر العثمانية القديمة هذا الشكل.

قال ابن حرير في تفسيره: " وختلف القراء في قراءة قوله (سلام على آل ياسين) فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة (سلام على آل ياسين) وقرأ عامة قراء المدينة (سلام على آل ياسين) بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتولى ذلك بمعنى سلام على آل محمد" (2).

هذا علماً بأن ثلاثة من القراء كانوا يقرأون آل ياسين وهم نافع وابن عامر ويعقوب (3)، وقال الواحدي في تفسيره: وقرأ نافع على آل ياسين وحتجه إذا في المصحف مفصولة من ياسين (4)، ونقل ذلك

---

(1) الصافات: 130 (2) تفسير الطبري - ج 22 ص 11 (3) طبيه النظر في القراءات العشر - ابن الجزري - ص 303
غيره، فهذا إقرار من الجميع بأنا كانت مفصولة في المصاحف فكيف
جاز لهم قراءة بها الوصول بياسين؟
هذا وقد نقل ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، في قوله
( سلام علي آل ياسين ) قال : خن آل محمد ( آل ياسين )
(1) وذكره الطبراني في معجمه الكبير (2)، قال الشوكي في ( فتح القدر ) :
وقال الكابي: المراد بال آل ياسين آل محمد (3).
وعموما، فبمجرد الاعتقاد بحجية القراءات المتواترة كلها مع كون أكثر
من قارئ قرأ ( سلام علي آل ياسين ) يكفي في صحة الاستدلال
بهذه الآية.

خامسا: قوله تعالى ( إن الله وملانكته يصلون على النبي يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) (4).

وقد ورد في صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الأحزاب
عن كعب بن عمرة ( رض ) قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد
عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .
ورواه عن أبي سعيد الخدري أيضاً (5).

(4) الأحزاب : 56
(5) صحيح البخاري - ج 2 ص 101
(1) تفسير ابن أبي حاتم - ج 10 ص 322
(2) المعجم الكبير - الطبراني - ج 11 ص 56
(3) فتح القدر - الشوكي - ج 4 ص 470
ورواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي (ص).

بعد التشهد، عن أبي مسعود الأنصاري وعن كعب بن عجرة (1).

لذا وإن لم يكن في الآية إشارة إلى آل محمد (ص) كما هو واضح ولكن إجماع المسلمين على صيغة الصلاة على النبي وإحقاق آلله به، بل وتشبيههم بآل إبراهيم عليهم السلام إذا هو إرادة انتقال كل ما كان لإبراهيم وآلله إلى محمد وآلله. وهل كانت بركة إبراهيم في زوجاته حتى يقال إن المقصود بآل محمد زوجاته؟ أم أن بركة إبراهيم في أبنائه كما في قوله: "ومن ذريتي" وقوله: "جعلنا في ذريته النبوة والكتب" وقوله: "أتي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع"؟

وقد روى في (عيون أخبار الرضا)، عن الربان بن الصلت في حديث مجلس الرضا (ع) في الآيات الدالة على الأصطفاء: "أما الآية السابعة: فقاله تبارك وتعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما", وقد علم المعادون منهم أنه لما نزلت هذه الآية، قبل يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، فهل بينكم - معاشر الناس - في هذا خلاف؟ فقالوا:
قال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً، وعليه إجماع الأمة، فهل عندكم في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟
فقال أبو الحسن الباجي: نعم أخبروني عن قول الله عز وجل (بس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صرط مستقيم) فمن عن
بقوله (بس؟)
قال العلماء: (بس) محمد (ص) لم يشك فيه أحد قال أبو الحسن الباجي: "إفر الله عز وجل أعطى محمدًا وأل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله وذلك أن الله عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى (سلام على نوح في العالمين) وقال (سلام على إبراهيم) وآله (سلام على موسى وهارون) ولم يقل سلام على آل نوح ولا على آل موسى ولا على آل إبراهيم وقال عز وجل (سلام على آل ياسين) يعني آل محمد (ص) "(1).

(1) عيون أخبار الرضا - 326
سادساً: آل محمد (ص) هم آل إبراهيم عليهم السلام قال تعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" (1).

فلاحظ أن تعبر (هذا النبي والذين آمنوا) في الآية، هو نفسه في قوله تعالى: "إِنَّا وَلِيَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالذِّينَ آمَنُوا" (2)، وقد مر الحديث بأنه على آدم، ورأى الذين اتبعوا إبراهيم فقد ذكروا في قوله تعالى: "إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي اجْعِلْ هذَا الْبَلَدَ أَمْنا وَأَجْنَبِي وَبَنِي أَنْ نَعِبَ الأُصْنَامِ رَبِّ إِفْنُ أَضَلِّلُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَعَبِّنَ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَاهُ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (3)، فالقصص به ذريته المحسنة التي استجاب دعائه وهم فلذا قال "فَإِنَّهُ مَنِي"، وما نريد قوله أن الآيات في النهاية رجعت وبينت من هم آل إبراهيم الحقيقيون الذين أشير إليهم في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عُمَّرَانٍ عَلَى الْعَالَمِينَ".

وأكبر دليل على كون محمد (ص) من آل إبراهيم دعاء إبراهيم الثقيلة: "ربنا واعبث فيهم رسولا منهم يلزموه عليهم أياتك وعلمهم..." (4)

النوع: الله ورسوله وآل محمد (ص) هم مؤمنون وذوي إيمان عريق.

(1) آل عمران: 28
(2) المائدة: 55
(3) إبراهيم: 36-39
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ١). وقد روي أحمد في مسنده عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان أول بداء أمرك؟ قال: " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منها قصور الشام "٢).
المهم أننا وجدنا في القرآن ذكرنا صريحا لوجود الاصطفاء بعد خاتم الرسول كما في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾٣)، وقوله تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾٤)، بل هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾٥)، ولو كان المقصود بكلمة "عقبه" أي بعده لما كان لحرف " في " معنى في الآية، لذلك فإن الأصح أن يكون معناها عقبه أي ذريته، مما يتناسب مع الآيات التي تحدثنا عنها سابقا.
وبناء على ما ورد في صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي (ص) عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة وأصطفى من قريش بني هاشم وأصطفى من بني هاشم "٦).

(١) البقرة: ١٢٩
(٢) مسند أحمد: ج٥ ص ٣٦٢
(٣) صحيح مسلم: ج٤ ص ١٧٨٢
(٤) الحج: ٧٨
(٥) الزخرف: ٢٨
ففيجح أن يكون هؤلاء الذين اصطفاهما الله من بني هاشم قبل غيرهم من قريش، ويجب أن يكون الخلفاء الإثنا عشر المذكورين في روايات البخاري ومسلم هم من بني هاشم من قريش لا من بطولها الأخرى.
والعجب منهم يقولون الرواية التي ينقلها البخاري في كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش عن ابن عمر إن رسول الله (ص) قال: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم أئمهم" (1) ولا يقولون أن نقول أنه في بني هاشم ويعدوها من التوارث المذموم. ومن أعظم الآيات التي تدل على التلازام بين آل إبراهيم عليهم السلام وآل محمد (ص) قوله تعالى: في أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكاً عظيباً (2) ، فالآية تحدث عن مجموع محسود زمن رسول الله (ص) ، ويشبه آل إبراهيم في تعنوه بعنوان الآل لذا القرآن يفرض على الخاسدين بما يعني أن إعطاء الفضل ليست من بيوت النبي ليس أمرا لا سابقة له بل كلكم يعرف حدوثه في آل إبراهيم عليهم السلام. فلذا لا يمكن أن يكون المقصود إلا آل محمد (ص) ، والعجب هنا أيضا أن بعد تلك الآيات بقليل يقول غز وجل "إن الله يأمركم أن

(1) صحيح البخاري - ج 9 ص 278
(2) النساء: 54-53
تدو الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل
إذا نعما مظركم به إن الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...

فانظر إلى تسلسل الآيات
أولاً: النهي عن حسد من أعطاهم الله من فضله أي الكتاب
والحكمة والملك العظيم كما آتي آل إبراهيم.
ثانياً: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين
الناس أن تحكموا بالعدل.
ثالثاً وأخيراً: الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر.

ألا يكشف هذا التسلسل من هم أولي الأمر ومن هم المحسدون؟

(1) النساء: 58
القسم الرابع

خاتمة
لماذا لم يركز القرآن على الإمامة كتركيزه على النبوة؟
فحنا سؤال مهم نعتقد بضرورة الإجابة عليه:
فإن البحث السابق وإن استطاع إن يبرز وجود عقيدة الإمامة في القرآن، ولكن يبقى سؤال وهو أن القرآن عندما تحدث عن عقائد المؤمنين حدها بشكل واضح، كما في قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين) (1)، وكذا في قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتب الله ورسوله لا تفرق بين أحد من رسوله) (2)، وأيضا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وكتب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (3).
وكم ترى ليس بينها الإيمان بالإمامة كأصل من الأصول، فكيف يمكن مع هذا القول بأن الإمامة من الأصول الاعتقادية؟

(1) القرآن : 177
(2) القرآن : 285
(3) النساء : 136
ويبقى تساؤل آخر وهو لماذا لا يتم التصريح بهذا كله بصورة جليّة واضحة؟ لا يمكن لأصحاب الهوية العبث بها وذلك من خلال تحوير المعاني ؟ ألم يمكن التصريح باسم علي الفاتح كإمام في كتاب الله فتنهي المشكلة؟

وأما الإجابة فنقول:

كما ترى أن السؤال ذو شقين الأول يتعلق بعدم ذكرها في سياق آيات تتحدث عن اعتقادات المسلمين، والثاني بدرجة التصريح بأمر الإمامة.

أصول العقائد المصرح بها في كتاب الله

فأما الشق الأول فلاشك أن هناك فروقا بين الاعتقاد بالله والرسول واليوم الآخر والاعتقاد بالإمامة فالثلاث الأول تشكل أساسا للإسلام بحيث أن المنكر خارج عن الملة والدين، وهي الأمور التي كان رسول الله (ص) يدعو إليها في المراحل الأولى من الرسالة باعتبار أنه يريد أن يخرجهم من الكفر والشرك إلى الإسلام، ولا نريد أن نقول أنه لم يذكر أمر الإمامة في المراحل الأولى ولكن الحديث عن عدم التركيز الإعلامي على الأمر، كما برز في المراحل المتأخرة من الرسالة.
ومن الطبيعي أنه في هذه المرحلة لا يركز على الأصول التي تشكل مرحلة ثانية من حيث الترتيب ومن حيث الأهمية، فلذا انصب جهد رسول الله (ص) وكذلك القرآن الكريم على هذه العقائد التي تعبر عن حقيقة الدخول في الإسلام، ويعد عدمها خروجا عن الإسلام.
وهذا الأمر واضح في تقسم كل العلماء لآيات القرآن إلى مكي ومدني وضع ميزات لآيات المكية متزامنة مع الآيات المدنية، ونحن نريد أن نقول أن هناك آيات تعبير عن مواجهة للمشركين وأهل الكتاب في عقائدهم، وآيات تتحدث عن المسلمين وعقائدهم.
وأحكامهم بلا ملاحظة الكفار من المشركين وأهل الكتاب.
ولا يمكن لمسلم أن يرفض هذه المرحلة في العرض والتركيز على الأمور، ولا ماذا يعني قبولهم لتحريم الخمر بالتدريج في ثلاث مراحل من نزول الآيات؟
وعليه من الواضح أن الآتيين المذكورتين من سورة البقرة والآية التي من سورة النساء تتعلق جميعها بالمرحلة الأولى من عرض عقائد المسلمين المنظور فيها أولا بيان الأصول المخرج من الكفر والمدخلة في الإسلام، ثانيا مواجهة المشركين وأهل الكتاب، وهي ليست مرحلة تساوي مع المرحلة الملكية للرسالة بل تتعدها إلى زمن فتح مكة وظهور الدين الإسلامي على كل الديانات الأخرى في الجزيرة العربية.
و عليه لا يتناقل ذلك مع العلم بكون سورة البقرة والنساء مدنيتين،
إذ من الواضح أن يراجع السيوطي في ( الإقتصان ) (1) والزركشي في
( البرهان ) (2) إجمالاً من أوائل السور التي نزلت في المدينة قبل البقرة هي
أولى بينهما، فتبقي السورتان تعبان عن المراحل الأولى لمواجهة
المشركين وأهل الكتاب.
وسياقهما واضح في التعريض بأهل الكتاب سواء في قوله تعالى
"ليس البر" التي كانت رداً على اعتراض اليهود من أهل الكتاب
على تغير قبля المسلمين، وكذا قوله تعالى "لا تفرق بين أحد من
رسله في حفظه فيها تفريق أهل الكتاب بين الرسول، وأيضاً في قوله
تعالي في الآية التي يعدها "كما حملته على الذين من قبلنا".
قال الطبري في تفسير الآية الأولى من سورة البقرة بعد ذكر قول
البعض بأن المقصود أن البر ليس في مجرد الصلاة:
" وقال آخرون على بذلك اليهود والنصارى وذلك أن اليهود تصلي
فتوجه قبل المغرب والنصارى تصلي فتوجه قبل المشرق فأنزل الله فيهم
هذه الآية... وأولى هذين القولين بتأويل الآية القول الذي قاله قتادة
والربيع بن أنس أن يكون على بقوله "ليس البر" أن تولوا وجههم

(1) الإقتصان - للسيوطي - ج 1 ص 41
(2) البرهان - للزركشي - ج 1 ص 281
قبل المشرق والمغرب اليهود والنصارى لأن الآيات قبلها مضت بتوبихهم ولومهم والخير عليهم ... "(1).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية السابقة:

"وأما الكلام على تفسير هذه الآية فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفسه طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته من ذلك "(2).

وقال الطبري في تفسيره للآية الثانية من سورة البقرة:

"والمؤمنون كلهم آمن بإلهي وملائكته وكتبه ورسله ... ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين ألقوا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين ألقوا بموسى وعيسى وكذبوا محمد (ص) وححدوا نبؤته ومن أشبهم من الأمم الذين كذبوا بعض رسول الله وألقوا بعضه ...

قال ابن زيد "لا تفرق بين أحد من رسوله" كما صنع القوم يعني بني إسرائيل قالوا فلان نبي وفلان ليس نبيا وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به "(3).

(1) تفسير الطبري - ج2 ص128
(2) تفسير ابن كثير - ج1 ص212
(3) تفسير الطبري - ج3 ص207
قال السيد الطباطبائي في تفسيره:

"ثم عاد في خائمة البيان إلى وصف حال الرسول ومن تبعه من المؤمنين فذكر أهم على خلاف أهل الكتاب ما قابلوا رحم فيما أنعم عليه بالهداية والإرشاد إلا بأنعم القبول والسمع والطاعة مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله غير مفرقين بين أحد من رسله".  

بل الذي يظهر أن السياق ناظر إلى أخرافات أهل الكتاب ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله (ص) "نما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخافوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير"، قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله (ص) فأتوا رسول الله (ص) ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليه هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله (ص): أريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلك بما أستتهم فأنزل الله في إثéra "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربي والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسوله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربا وإليك".  

(1) تفسير المنزان - للطباطبائي - ج2 ص440
الصبر)، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ...) "(1)." 
وذلك الحال بالنسبة إلى آية سورة النساء فسياقتها واضح أنه يتوجه للانحراف الموجود عند أهل الكتاب بقرينة قوله تعالى ( والكتب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل). 
ولا ينافيه خطاب ( يا أيها الذين آمنوا) إذ من الواضح أن القرآن يريد حفظ المؤمنين برسول الله من تأثير ضلالات أهل الكتاب، فيعرض العقائد الصحيحة التي يفتقدها أهل الكتاب ويجعلهم في عداد غير المسلمين، ولا يكون المقصود بيان كل العقائد حتى يلبس لها علاقة بتحقق الإسلام وإن كانت أساسية ومهمة مثل الإمامة. بل الطبري صرح في تفسيره بأن خطاب ( يا أيها الذين آمنوا) يقصد به أهل الكتاب قال: " إنه جل شاؤه لم يسمهم مؤمنين وإنما وصفهم بأهم آمنوا ... وذلك أهم كانوا صنفين أهل توراة ... وصنف أهل الإنجيل ... جل شاؤه لهم ( يا أيها الذين آمنوا) يعني بما هم به مؤمنون من الكتاب والرسول" (2). 

(1) صحيح مسلم - ج 1 ص 115 
(2) تفسير الطبري - ج 5 ص 439
وقال الطبري في آخر الآية التالية أي قوله تعالى: { إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلهم} (1):

"وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال عني بذلك أهل الكتاب، وإنما قلنا ذلك أولي بالصواب في تأويل هذه الآية لأن الآية التي قبلها في قصص أهل الكتابين أعني قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله} (2).

وقول الطبري وإن لم يكن قويا في نفسه وإن المقصود هم المسلمون ولكنه لا يمنع من أن النظر في الآيات إلى ظلالات أهل الكتاب التي يمكن أن تؤثر على المؤمنين ودفعها عنهم، وكما قلنا سابقا الحديث عن خصوص الأصول التي عدمها يعد خروجا عن الإسلام، فيكون المعنى يا أيها الذين آمنوا برسول الله (ص) آمنوا بهذه الأمور ولا تكونوا كضلال أهل الكتاب من عدم إدماجهم هذه الأصول. نعم تبقى هناك عدة آيات تذكر الإيمان بالله واليوم الآخر وهذه لا يمكن للخصم الاستدلال بها لأنها لا تذكر النبوة فقط ع ليست هي في صدد الاستقصاء وبيان كل ما له دخل في اعتقادات المسلم.

(1) النساء 137
(2) تفسير الطبري 50 ص 441
درجة التصريح بالإمام...

وأما الشق الثاني من السؤال والذي يتعلق بدرجة توضيح عقيدة الإمام في القرآن، فينبغي التنبه أن الحديث هنا عن درجة الوضوح وليس أصل الوضوح لما بيننا من أن مجموع العرض الذي عرضناه يكشف الوضوح في الأمر، فالمشكل له أن يعتبر على درجة الوضوح.

ولا شك إن لما ذكرناه في جواب الشق الأول من إن الآيات تعتبر عن مراحل من المواجهة مع الخلل العقائدي الذي عاشه المجتمع الجاهلي في مكة وما حولها له دور في درجة تركز القرآن على تلك الحقيقة.

ولكن المؤثر الأساسي هنا هو مراعاة طريقة تعامل الأمة مع الرؤية الإسلامية لخلافة رسول الله (ص) وتقدير مدى تجاوياً، فلو سلم بأن هناك نوع من الرفض للفكرة أو عدم التقبل لها بين بعض أوساط الصحابة المنتدبين، فإن أسلوب عرض الأمر سوف يتأثر سواء في آيات القرآن الكريم أو النصوص الواقدة عن رسول الله (ص) ، فهناك أصلان ترسخاً في الأمة يجب الحفاظ عليهما وهما:

الأول: إن صدق عنوان الإسلام والدخول فيه بمجرد الشهادتين.

والثاني: ضرورة الحفاظ على تقديس الأمة لآيات القرآن الكريم وعدم فتح أي مجال للمساس بألفاظها الشريفة بالتحريف واللغز.

خاتمة

103
فالفذي حدث في الحقيقة نوع من التضحية في مستوى عرض الإمامة حفاظًا على الأصليين السابقين.

وحادثة رزية الحميس - سيأتي ذكر مصادرها - التي طلب فيها رسول الله (ص) كتابة الوصية التي لا تضل بعدها الأمة مثال صارخ لمراعاة الأصل الأول.

فقد ورد في آخرها - كما في رواية ابن سعد في (الطبقات) تحت عنوان ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله (ص) أن يكتب لأمته - أنه قيل له (ص) ألا تأتيك بما طلبت؟ قال: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدع به(1).

فهذه العبارة التي تدل على رفض رسول الله أن يكتب شيئا بعد قولهم إن رسول الله (ص) يهجر دليل واضح على أنه (ص) رأى خطرة إصراره على الكتابة وأنا ستضر بعقيدة الأمة بالنبوة فلذا فضل الحفاظ على احترامهم لقول النبي (ص) وعدم مساس حرمتهم على تبليغ أمر الإمامة على نحو الكتابة، فلا شك أنهم كانوا مستعدين لإلغاء حجة وصية رسول الله والتأكيد على أنها وصية نبي كان يهجر عند الاحتضار فلا حجة فيها فتصبح عقيدة بين المسلمين.

والقرآن كذلك روعي فيه هذا الأمر مما يحفظ قديسية بين المسلمين فلا يتعرض لتحرير لفظي عند الإصرار على ذكر الأمر بأقصى

(1) الطبقات الكبرى - ابن سعد - ج1 ص517
درجات الوضوح، وهو الأصل الثاني الذي سنذكر له أمثلة في الآيات التي تحدثت عن الإمامة.

وافترض أن الصحابة يسلّمون بما يقول رسول الله (ص) ويأمر به خطأ واضح، وليس بالضرورة أن تكون المخالفات بسبب النفاق أو الأهواء أو بقاء الرواسب الجاهلية عند البعض، بل نلاحظ أن كثيراً من الاعتراضات تنشأ من اعتقاد بعض الصحابة بأنه يمكن تخطة رسول الله (ص) وخالفته في تقدير المصالح الاجتماعية والسياسية، وكأن الأمر ينطلق من اعتقاد هذا البعض أن النبوة تتعلق ببلاغ الأحكام، وأما تشخيص المصالح السياسية والاجتماعية فهي مهمة يتساوي فيها الجميع.

ويفكّي أن تجد أمثلة غريبة قد لا تخطر على ذهن المسلم منها ما ذكره البخاري في كتاب الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام عن حابر بن عبد الله قال بينما نحن نصلي مع النبي (ص) إذا أقبلت غير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي (ص) إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو هوا انفضوا إليها وتركوك قائم) (1).

وذلك المخالفات التي صدرت من عدد من الصحابة طمعاً في الغنائم في معركة أحد فقد روى البخاري في كتاب المغازي باب غزوة أحد عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي (ص) جيشاً من

(1) صحيح البخاري - ج2 ص16
الرماة وأمر عليهم عبد الله وقال: لا تبرحوا إن رأيتونا ظهروا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتهم ظهروا علينا فلا تعنينا، فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قدي بدت خلاطهن فأخذ يقولون الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلينا النبي (ص) أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلًا(1).


ولم يقبل عمر من رسول الله (ص) حتى ذهب وكرر الكلام مع أبي بكر، وفي آخر الرواية يقول الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً(2).

(1) صحيح البخاري - ج 5 ص 206
(2) صحيح البخاري - ج 3 ص 120
وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري باب فضل سورة الفتح يظهر غضب رسول الله ﷺ من عمر، إذ سأله عمر عن شيء فلم يجيب رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجيب، فقال عمر بن الخطاب: ثكنك أم عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبيك. قال عمر: فجركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشي أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا بصراخ يفقتل: لقد خشيتك أن يكون نزل في قرآن.

ثانيه: في مسألة منحة الحج، ومصيبة هذا المقال أنه يدخل في المسائل العبادية ولم تختص بصاحبي واحد بل كان المتعرضون يشكلون ظاهرة، فقد روى البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب في النبي ﷺ عن التحرير عن جابر قال: أهلنا أصحاب رسول الله ﷺ في الحج خالصا ليس معه عمرة، فقدم النبي ﷺ صحاب رابعة مضت من ذي الحجة فلما قدمنا أمرنا النبي ﷺ أن نحل وقال: أحلوا وأصبووا من النساء... فبلغه أنا نقول لما لم يكن بيننا وبين عرفتنا إلا خمس أمرنا أن نحل إلى نساءنا فتأتي عرفة تقطر مذاكرنا المذن... فقام رسول الله ﷺ فقال قد علمتم أن أتقاكم الله وأصدقكم وأكبركم ولولا هديتي لحللت كما تحلون.

(1) صحيح البخاري - ج 6 ص 232
(2) نفس المصدر - ج 9 ص 137
وقد بينت عائشة درجة عصيان الصحابة كما روى عنها مسلم في كتاب الحج باب بيان وجه الإيرام قالت: قدم رسول الله (ص) لأربع مضيفين من ذي الحجة أو خمس فدخل على وهو غضبان، فقالت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار؟! قال: أو ما شعرت أي أمرت الناس بأمر فإذا هم يتردون(1).

وقد صرح ابن عباس بالعلة التي جعلتهم يعتصمون رسول الله كما في رواية مسلم في كتاب الحج باب جواز المتعة في أشهر الحج قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفزور النجور في الأرض ويجلعون المحرم صفرًا ويقولون إذا برأ الدبر وعفا الآخر وانسلخ صفر حللت العمرة لمن اعتمر، قدم النبي (ص) وأصحابه صيحة رابعة مهليين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاظم ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله أي الخل قال الخل كله(2).

المهم أن بعد هذا كله يقول عمر - وقد كان على رأس المعترين - كما عن صحيح مسلم في كتاب الحج باب نسخ التحلل: قد علمت أن النبي (ص) قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلو معرضين بين في الأراك ثم يرتحون في الحج نقطر رؤوسهم(3).

---

(1) صحيح مسلم - ج 2 ص 879
(2) نص المصدر - ج 2 ص 909
(3) نص المصدر - ج 2 ص 896
وقد بين عمران بن حصين منع عمر للعمرة في أشهر الحج حينما قال
كما في كتاب الحج باب حواز التمتع من صحيح مسلم: إن
لأحمد بن الحديث اليوم ينفعك الله بعد اليوم وأعلم أن رسول الله
(ص) أعمار طويلة من أهله في العشر فلم تزل آية تنسخ ذلك ولم ينه
 عنه حتى مضى لوجوهه، ارتأى كل أمرئ بعد ما شاء أن يرتئي...
وقال ابن حاتم في روايته: ارتؤى رجل برأيه ما شاء يعين عمر(1).
ثالثها: رزية الخمسية التي رواها مسلم في كتاب الوصية باب ترك
الوصية عن ابن عباس أنه قال يوم الخمسة وما يوم الخمسة ثم جعل
تسلل دومه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول
الله (ص): اتوري بالكنف والدواء أو اللوح والدواء أكتب لكم
كتابات لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا إن رسول الله (ص) يهجر(2).
وكمًا ترى ليس المانع لرسول الله (ص) شخص واحد، وقد صرح
ابن عباس باسم أهم المعترضين عمر بن الخطاب كما في رواية
البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف
قال: لما حضر النبي (ص) فقال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن
الخطاب، قال: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، قال عمر:
إبن النبي (ص) غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسنا كتاب الله،

(1) صحيح مسلم - ج 2 ص 898
(2) نفس المصدر - ج 3 ص 1259
واختلف أهل البيت وانتصروا فمنهم من يقول: قربا يكتب لكم رسول الله (ص) كتابا لن تصلوا به وهم من يقول ما قال عمر، فلما أثروا اللغط والاختلاف عند النبي (ص) قال: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: وإن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغتهم.

هذه ثلاثة مواقف تكشف عن وجود استعداد عند عدد كبير من الصحابة، وبعضهم من كبار الصحابة لمخالفة رسول الله في الأمور العبدية فضلاً عن أن يتخليل أنه من التقديرات السياسية أو الاجتماعية، والهم المكان ما نريد قوله أن رسول الله (ص) يمكن أن يراعي هذه الحالة عند إبلاغ بعض الأمور التي لا يجد تقبلها لها بين أصحابه، كما أنه راعى جانب المشركين حينما كان يمنع عن قتل بعض المنافقين أو الخونة بقوله (ص): لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه " كما في صحيح البخاري كتاب المناقش باب ما ينهى من دعوة الجاهلية" (1) ومواد متعددة غيرها، إذ ظاهر هذا النص المتكرر في الصحاح وفي عدة وقائع أن لرسول الله (ص) الحق في

(1) صحيح البخاري - ج9 ص137
(2) نفس المصدر - ج4 ص423
قتلهم ولكن يراعي ضرورة الحفاظ على شعور الكفار بأن دخولهم
الإسلام يضمن لهم السلامة ويدخلوا في الدين ولو طمعا في النجاة.
وقد صرح رسول الله (ص) بأنه ترك أمراً ما يتعلق بالكعبة لحدثة
الناس بالإسلام فقد روت عائشة كما في صحيح مسلم كتاب الحج
باب جدر الكعبة قالت: سألت رسول الله (ص) عن الجدر...
قال: "ولولا أن قومك حدث عهدهم في الجاهلية فأخفى أن تنكر
قلوهم لننظر أن أدخل الجدر في البيت وأن ألقى بابه بالأرض"(1).
ذكرنا ما سبق من الأمثلة لكي ندلل على أن يمكن لرسول الله (ص)
أن يتريث في تبليغ بعض الأحكام لإدراكه وجود نوع اعتراض من
الصحاباء عليها مع تفاوت درجات الاعتراض والرفض، وما قوله
تعالى (۴) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما
بلغت رسالته والله يعصمه من الناس (۴) إلا إشارة لهذه الحقيقة،
و نكرر أننا لا نريد أن نقول أن الأمر يؤثر في أصل التبليغ بل درجه
و مستواه، ويوجب نوع من التدريج في تبليغه.
وهذا الأمر كما يؤثر على رسول الله (ص) يؤثر على صياغة القرآن
لمثل هذه الأمور بل هنا الأمر أخطر، إذ لو صرح بمطلب يعارضه عدد
من كبار الصحابة فإن هناك خطورة في تحريف آيات الكتاب.

(۴) صحيح مسلم - ج ۲ ص ۹۷۳
(۱) المائدة : ۶۷
ولذا من الطبيعية أن يصاغ الأمر في القرآن بحيث لا يفقد وضوحته ولكن في نفس الوقت يعرض بطريقة يؤمن بها كتاب الله أن تعاله يد التحريف، إذ من الخطأ افتراض أن القرآن يحفظ بطريقة المعجز دائما بل قد تكون بعض الأسباب الطبيعية هي التي أدت إلى عدم مساس آياته بأي نوع من أنواع التحريف اللفظي، نعم قد تتداخل عوامل معجزة عند بعض الضرورات تمنع من تطرق الباطل إليه.
ولذا تجد العديد من الآيات التي تتعلق بالإمامية توضع في سياق غريب وأمثلتها عديدة، وإليك بعضها:

أوها: آية إكمال الدين التي نزلت بعد غدير خم حيث وضعت في وسط آيات تتعلق ببيان المحرم من اللحوم، قال تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموؤذة والمشردة والنتيجة وما أكل السبع إلا ما ذكتم وما ذبح على النصب وأن تستفسموا بالأذلة ذلك فقس» ثم انفردت الآيات للحديث عن إكمال الدين بقوله تعالى: «اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تتخذهم واحشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» ثم رجعت
الآيات تتحدث عن الموضوع السابق بقوله تعالى: " فمن اضطر في مهنة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم"(1).

ثانيها: آية التطهير التي تجدها وضعت بين آيات تتعلق بنساء النبي (ص) مع أنه من الواضح من الروايات التي تتحدث عن أسباب التزول أنه لا علاقة لآية التطهير من قال تعالى: "وَقَرِئَنَّ فِي بِيَتِكَ وَلا تَبْرِجَنْ تَرْجِحَ الجَاهِلِيَّةَ الْأَوَّلَةَ وَأَقِمَ الصَّلَاةَ وَآتِيَ الزَّكَاةَ وَأَطِنِ اللهُ وَرَسُولُهُ إِنَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذَهِّبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطِهِّركُمْ تَطَهِّرًا وَأَذَّكَرْنَا مَا يَلَى فِي بِيَتِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحُكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا"(2).

ثالثها: قوله تعالى: "فُلْهَأَلَّا أن الشاهد بعد رسول الله (ص) هو رجل منه "أَفْمَنْ كَانَ عِلْمًا مَنْ رَبُّهُ وَيَتَّلُوهُ شَاهِدًا مِنَهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَابٍ مُوسَى إِعْمَامًا وَرَحْمَةً"(3)، إذ دخول ومن قبله كتاب موسى إعماما ورحمه كجملة اعتراضيه أمر متعمد لحفظ الآية, وكون السياق الطبيعي ويتلوه شاهد منه إعماما ورحمه.

---

(1) المائدة: 3
(2) الأحزاب: 44-45
(3) هود: 17
يبقى أن نعرض النصوص التي تبين وبشكل جلي أن إمامة علي (ص) كانت فكرة مرفوضة من قبل بعض الصحابة، بل كانوا يختلفون لمنعها كما يظهر من رزية الخميس.
فالخلفية التي كان رسول الله (ص) يعرف بها ويتخوف منها عند تبلغ إمامة علي (ص) هي بعض بعض الصحابة لعلي (ص) والشاهد على ذلك كثيرة.
وأولها ما في كتاب الإيمان من صحيح مسلم باب الدليل على أن حب الأنصار وجع (رض) من الإيمان من قول علي (ص): "والذي فلق الحبإ وربأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (ص) إلى أن لا يجي إلا مؤمن ولا يبغض إلا منافق" (1)، فهذا الحديث وحديث "حب الأنصار آية الإيمان وبعضهم آية النفاق" (2) الذي رواه مسلم في نفسباب دليل على أن هناك بعض من قبل بعض القرشيين والمهاجرين لطرفين كان لهما أكبر الدور في انتصارات رسول الله (ص) على قريش، فمن دخل منهم في الإسلام بتأثير الطمع أو السيف بقيت فيه حوصلة بعض هذين الطرفين فأصبحت علامة على نفاقه.
ومنها ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام ... إلى اليمن عن بريدة قال: بعث النبي
(1) صحيح مسلم - ج 1 ص 86
(2) نفس المصدر - ج 1 ص 85
(ص) على خالد ليقبض الحمس وكتب أبغض عليه وقد اغتسل، فقالت خالد: ألا ترى إلى هذا! فلما قدمنا على النبي (ص) ذكرت ذلك له فقال: يا بريدة أبغض علي؟ قلت: نعم، قال: لا تبغضه فإن له في الحمس أكثر من ذلك(1).

وقد روى الخير أحمد في مسندر بريدة الأسلمي مما يكشف بعض خالد بن الوليد لعلي عليه السلام قال بريدة: أبغضت علياً بغض لا أبغضه أحداً فقط وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بعضه على خالد. فبعث ذلك الرجل على خيل فصالبته ما أصحبه إلا على بعضه عليه.

وقد حكم محققو طبعة الرسالة بصحة الحديث(2)، ومن الواضح من خلال الرتب بين الخبرين أن الرجل هو خالد.

وروى الحاكم في (المستدرك) عن عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال خرجنا مع علي (رض) إلى اليمن فحافنا في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي فلما قدمت أظهرت شكايتها في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله (ص)... قال: يا عمرو والله لقد آديتني فقلت أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله قال: بلى من آذي عليا فقد آذاني.

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرج، قال الذهبي في التلخيص: صحيح(3).

(1) صحيح البخاري - ج 5 ص 407
(2) مسندر أحمد - ج 38 ص 27
(3) المستدرك على الصحيحين - ج 3 ص 122
وقد ذكر عمران بن حصين أن عدد الذين شكون علي أربعة من الصحابة كما في رواية أحمد في (فضائل الصحابة) قال: بعث رسول الله (ص) بسرية وأمر عليهم علي بن أبي طالب فأحدث شيئا في سفره فتعاهد قال عفان فتعاهد أربعة من أصحاب محمد (ص) أن يذكروا أمره لرسول الله (ص) قال: فأقبل رسول الله (ص) على الرابع وقد تغير وجهه فقال: دعوا عليا دعوا عليا فإن عليا معي وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي. وحسن حقق الطبعة هذا الحذر.

وقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري ما يظهر أن المبضعين لعلي ظلوا جماعة من الصحابة قال: شكك علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله (ص) فقام خطيبا فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأحسن في ذات الله وفي سبيل الله.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرج، وقال الذهبي في التلميذ: صحيح(1).

أضاف إلى ذلك ما رواه الحاكم عن علي يهودي كما في (المستدرك): "إنما عهد إلي النبي (ص) أن الأمة ستغير بعده والحمد لله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرج، وقال الذهبي في التلميذ: صحيح(2).

(1) فضائل الصحابة - ج 2 ص 749 حديث رقم 1358
(2) المستدرك على الصحيحين - ج 3 ص 134
(3) نفس المصدر - ج 3 ص 140
فمن الواضح من الخبر أن الأمة - وليس مجرد أفراد - ستغدر بعلي
الله تعالى وليس المنتقل إلا الجموعة التي تبغض عليها من الصحابة وتخالف
عهدها عليه عليهم رسول الله (ص).
وتكفي دراسة سريعة لأحداث التاريخ لمعرفة عداء عدد من الصحابة
لعلي بن أبي طالب وما قيام عائشة وطلحة مسألة ظهرت بين عشية وضحاها
بل كانت تعب عن عداوة لعلي بن أبي طالب لها جذورها.
فهذا البخاري ينقل في كتاب الصلاة باب بدء الأذان باب حد المريض
أن يشهد الجماعة عن عائشة أها قالت : لما نقل النبي (ص) واستد
وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بني فأذن له فخرج بين رحلين تحت
رجلاء الأرض وكان بين العباس ورجل آخر، قال عبيد الله : فذكرت
ذلك لابن عباس ما قالت عائشة ، فقال لي : وهل تدري من الرجل
الذي لم تسم عائشة ؟ قلت : لا ، قال هو علي بن أبي طالب(1).
قال ابن حجر في (الفتح) :
"قوله هو علي بن أبي طالب زاد الإسحائي من رواية عبد الرزاق عن
معمر ولكن عائشة لا تطيب نفسها له بنير ، ولا بن إلا إسحاق في المغازي
عن الزهري ولكنها لا تقدر على أن تذكره بنير ، ولم يقف الكرماني
على هذه الزيادة فعبر عنها بعبارة شنيعة وفي هذا رد على من تنفع
فقال لا يجوز أن يظن ذلك بعائشة "(2).

(1) صحيح البخاري - ج 1 ص 170
(2) فتح الباري - ابن حجر - ج 2 ص 155
وما نقله الطبري في أحداث سنة (404) عن عائشة عند استشهاد علي

التي: أفزع، قال:

" لما انتهى إلى عائشة قتل علي (رض) قالت:
فألقت عصاها واستقرت بما النوى. كما تقر عينا بالإباب المسافر
فمن قتله فقبل رجل من مراد فقال:
فإن يك نائياً فقد نعاه غلام ليس في فيه أثر
فقالت زينب بنت أبي سلمة: أعلمي تقولين هذا؟! فقالت: إني أنسى
فإذا نسيت فذكرني"(1).

وأما معاوية وهو من طلقاء الصحابة فلم يكتم ببغض علي
سنته على المنابر حتي أهله بطل الإسلام الأول يسب على منابر
الجمعية قريبة السبعين عاما.

فقد روى مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة باب من فضائل علي
بن أبي طالب (رض) عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن
أبي سفيان سعدا فقال: ما منك أن تسب أبا أثر؟(2)

وأما إذا أردنا أن نستقصي المبغضين لعلي من الأجيال المتأخرة
على الصحابة في طول البحث ونفر بالاختصار المطلوب هنا، بل هي
التي أدت إلى نشأة فرقة النواصب والخوارج في التاريخ الإسلامي.

(1) تاريخ الطبري - ج 4 ص 115
(2) صحيح مسلم - ج 4 ص 1871
المهم أردنا من العرض السابق بيان أن إبلاغ إمامنة علي ﷺ من الأمور التي كان رسول الله ﷺ يدرك وجود اعتراض عليه من البعض المستميت في منع بلوغ علي ﷺ للخلافة، وهذه الحقيقة هي التي أثرت على صياغة القرآن للإمامنة مما يحفظها من التلاعب والتحريف.

وفي الختام نرجو أن يكون البحث قد حقق هدفه، وهو توضيح ما قد يشتبه عليه البعض بظنهم أن القرآن الكريم لم يعرض الإمامة، وأن مصدر هذه العقيدة عند الشيعة ليس بقرآني مما أوجوه إلى التفسير الباطني للقرآن، وقد أوضحنا لك جلاء أمر الإمامة في القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

الكويت

٣ شوال ١٤٢٢ هجري

عبد الله إبراهيم دشتي
فيروس المصادر والمراجع

1. الاتفاق في علوم القرآن : خلال الدين السيوطي ، منشورات الشريف الرضي - قم - إيران ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

2. بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة 1983 م.

3. تاريخ الطبري : محمد بن حرير الطبري ، مطبعة الإستقامة بالقاهرة 1939 م.

4. تفسير ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد الرازي ، مكتبة الباز - مكة المكرمة - الرياض ، الطبعة الثانية 1999 م ، تحقيق أسعد الطيب.

5. تفسير ابن كثير : إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، الطبعة الثامنة 1996 م.


1. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الجيل - بيروت - لبنان، الطبعة السلطانية 1316هـ.
4. فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت - دمشق، مكتبة الغزالي.
17. الكافي: محمد بن يعقوب الكليبي، دار الأضواء - بيروت - لبنان 1985م، تحقيق علي أكبر الغفاري.

18. الكشاف: جار الله الزمخشي، دار المعرفة - بيروت - لبنان.


22. معتمر المختصر: أبو المحسن الجنفي، دار الكتب العلمية - بيروت.

23. منهاج السنة: ابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، طبعة قديمة في أربعة أجزاء.
فيليسي

الإهداء

مقدمة المعد

تمهيد المؤلف

القسم الأول:

مصير الحجّة بعد الرسول (ص) في القرآن

ماذا نقصد بالإمامة؟

أهمية البحث في هذا الأمر

إعادة صياغة نقطة الخلاف

منهج البحث عن الحقيقة

حديث العقل عن الإمامة

الحجة بأبعادها الثلاث

أولاً: العلماء بالكتاب بعد رسول الله (ص)

الدليل على اصطفاء مجموع مع رسول الله (ص)

أول العلماء بالكتاب بعد رسول الله (ص)

ثانياً: الشهداء بالكتاب بعد رسول الله (ص)
أول الشهداء بال الكتاب
ثالثا: الحكام بالكتب بعد رسول الله ﷺ

الأول الحكام بالكتب

القسم الثاني:
اصطفاء البيوتات في القرآن الكريم
سنة القرآن في اصطفاء الآل
الأمثلة القرآنية لاصطفاء البيوتات
أولا: آل إبراهيم ﴿ع﴾
ثانيا: آل موسى وآل هارون ﴿ع﴾
ثالثا: آل يعقوب ﴿ع﴾
رابعا: آل داود ﴿ع﴾
خامسا: آل عمران ﴿ع﴾
سادسا: آل زكريا ﴿ع﴾
التنيهان مهمان
آل محمد ﴿ص﴾

القسم الثالث:
آل محمد ﴿ص﴾ في القرآن
أولا: قوله تعالى (إني يريد الله ليذهب عنكم الرحس)
ثانيا: قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا)